

ارسيٲ لويٲٲ

الفيل الأبيض



مغامرات " أرسين لوپين "

ذو الشخصية القذة في إقحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تُصوّر الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوپين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يُكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس، وخاصة اليائسين والفقراء حيث كان يخصصهم يعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص المشعنين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان. وقد تحدّى هذا البطل (أرسين لوپين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وسينة حيث كان يُجيد التكرّر ويظهر في شخصيات متعدّدة.

ثمن النسخة

Canada	6 \$	قطر	٢٠٠٠ ل.	لبنان
U.K.	2 £	عسقط	٦٠ ل.	سوريا
U.S.A.	4 \$	مصر	٧٥٠ فلس	الأردن
Greece	1500 Dr	المغرب	٨ ريال	السعودية
Cyprus	2	ليبيا	٦٠٠ فلس	الكويت
France	20 100	تونس	٨ دراهم	الإمارات
		اليمن	٧٥٠ فلس	البحرين

20301

0-400

السندات المسروقة

كان أول ما فعله مسيو "جاسير" حين استيقظ من نومه أنه أرسل بصره إلى الطاولة القريبة من فراشه .. ليتحقق من وجود حزمة السندات التي جاء بها معه في المساء ..
اطمان إلى وجودها حيث وضعها .. فنهض من فراشه .. وشرع يرتدي ثيابه ..

كان مسيو "جاسير" رجلاً قصير القامة بدين الجسم .. يشتغل بالمضاربات والاعمال المالية .. وقد استطاع بجده ونشاطه أن يكتسب عدداً كبيراً من العملاء الذين انتمونه على أموالهم .. فوضعوا بين يديه كل ما ادخروه .. وراح هو يعمل على تنمية هذه الأموال .. ووفق في ذلك إلى أبعد حدود التوفيق بفضل نجاحه في بعض المضاربات الجريئة .. وبفضل الأرباح الباهظة التي كان يجنيها من إقراض المال بالربا الفاحش ..

كان رجلاً مدبراً شحيحاً .. وقد عز عليه أن يدفع اجرة خادمة تقوم بتدبير شؤون البيت .. فاتفق مع حارسة الباب على أن تقوم بهذه المهمة .. وهي امرأة كبيرة الجسم نشيطة .. فكانت تحمل إليه الرسائل في الصباح وتضع له طعام الفطور .. ثم تقوم بتنظيف البيت .. وتنصرف بعد ذلك إلى عملها الأساسي .. وهو حراسة الباب الخارجي ..

ففي صباح ذلك اليوم .. قامت حارسة الباب بعملها كالمعتاد وانصرفت من بيت مسيو "جاسير" في منتصف الساعة التاسعة، وبقي هذا الأخير وحده يتناول طعام الفطور وينتظر قدوم موظفيه كالمعتاد ..

تناول الرجل طعامه في هدوء .. وفض رسائله وقراها .. ثم راح

يلقي نظرة على إحدى الصحف ..

وبينما هو يفعل ذلك .. إذا به يسمع فجأة حركة في غرفة نومه .. فتذكر في الحال حزمة السندات التي تركها على المائدة .. ووثب إلى غرفة النوم بسرعة .. وكانت نظرة واحدة إلى الطاولة كافية لأن تدل على أن حزمة السندات قد اختفت ..

وكان لغرفة النوم باب آخر يؤدي إلى السلم .. وقد اعتاد مسيو "جاسير" أن يبقيه مغلقا .. غير أنه لاحظ وهو يدخل الغرفة أن هذا الباب قد اغلق بعنف .. فهجم عليه .. وحاول أن يفتحه .. ولكن الباب لم يكن ليفتح إلا بالمفتاح .. وهو قد اعتاد أن يحفظ المفتاح في درج مكتبه ..

فكر الرجل في الأمر بسرعة .. وقال لنفسه :

- إذا أضعت الوقت في البحث عن المفتاح .. فر المجرم دون أن يراه أحد ..

قال ذلك وأسرع إلى النافذة التي تطل على الشارع ففتحها .. واطل منها ليرى السارق إذا حاول الخروج ..

وكان الشارع خلوا من المارة .. فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن السارق لا يزال في المنزل ..

وعلى الرغم من انزعاج الرجل وشدة ذعره وهلعه .. فإنه لم يفكر في الاستغاثة وطلب النجدة .. إلى أن رأى بعد دقيقة أو دقيقتين أحد موظفيه مقبلا من الشارع المجاور فصاح به :

- أسرع .. أسرع يا "سارلونييه" .. ادخل المنزل واغلق الباب ولا تدع أحدا يخرج .. إنني سرقت يا "سارلونييه" .. والسارق لا يزال في المنزل .. وما زال يطل من النافذة حتى رأى "سارلونييه" يدخل المنزل ويغلق الباب .. فتنفس بارتياح .. وهبط السلم مسرعا .. ووجد "سارلونييه" واقفا بجانب الباب ..

سأله في لهفة :

- ألم تر أحدا يا "سارلونييه" .. ؟

- نعم ياسيدي لم أر أحدا ..

- ألم يخرج أحد ؟

.. نعم لم يخرج أحد ..

فأسرع إلى غرفة حارسه الباب .. فوجدتها تشغل بتتظيف غرفتها فصاح بها :

- لقد سرقوني .. ألم يدخل أحد غرفتك ؟ .. ألم يختبئ عندك .. ؟

- نعم لم يدخل أحد يا مسيو "جاسير"

- هل أنت واثقة ؟

- إنني لم أبرح هذه الغرفة منذ فرغت من تتظيف بيتك ..

- ألم يخرج أحد ؟

- نعم لم يخرج أحد ..

- معنى هذا إذن أن السارق صعد السلم بدلا من أن يهبط .. يا الهي .. هذا مخيف ..

ثم صعد إلى بيته مسرعا .. وتناول سماعة التليفون وهتف :

- الو .. الو .. يا مدموازيل .. أريد الاتصال حالا بإدارة البوليس ..

إدارة البوليس ؟ هل المفتش "جانيمار" موجود ؟ أريد التحدث إليه بسرعة .. أنا "بيير جاسير" من رجال الأعمال .. ومسيو "جانيمار" من

عمالتي .. أريد الاتصال به حالا .. الو .. الو .. أهذا أنت يا "جانيمار" ؟

شكرا لله .. نعم .. كل شئ على ما يرام .. أو بالحري كل شئ ليس

على ما يرام .. لقد سرقت سنداتك المالية .. يستحيل عليك الحضور ؟

لأنك حصلت على إجازة ؟ ولكن أي شأن لي بإجازتك ؟ احضر حالا ..

حالا .. فسنداتك قد سرقت ضمنا مع الحزمة التي فقدت من غرفتي ..

وقد سب "جانيمار" وشتم ووضع السماعة بعنف دل على مبلغ

اهتمامه وانفعاله .. فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن المفتش البوليس لن

يظهر في الحضور ..

والواقع أنه لم تكذ تنقضي بضع دقائق .. حتى وقفت سيارة

بالباب وهبط منها "جانيمار" وهو منقلب السحنة ..

ثم راح يستجوب الفتاتين .. فعلم ان إحدهما تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة .. وان الثانية تعطي دروسا في البيانو .. وانهما تريدان الخروج لابتياح حاجتهما من الطعام .. فقال لهما "جانيمار" بإصرار :
- يؤسفني جدا انني مضطر إلى منعكما من الخروج وسيبقى باب هذا المنزل مغلقا طيلة هذا اليوم ..

يا مسيو "جاسير" .. ضع اثنين من موظفيك هنا لحراسة الباب .. وعلى الثالث ان يقوم بقضاء حوائج سكان المنزل .. وربما استطعت بعد الظهر ان أرخص للسكان في الخروج .. وعندئذ يتعين تفتيش كل حزمة .. وكل غلبة او صندوق يخرج به احد السكان من المنزل ..
والآن هلم بنا إلى العمل ..

كان المنزل يتكون من ثلاثة طوابق .. يقيم مسيو "جاسير" في اولها .. ويقوم في الثاني مسيو "توفمون" عضو مجلس النواب والوزراء السابقين ..

اما الطابق الثالث .. فكان مقسما إلى قسمين .. تقيم في احدهما الأنسة "ليجوفيه" التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة. وتقيم في الثاني الأنسة "هافلين" معلمة البيانو ..

وقد علم "جانيمار" من حارسة الباب ان مسيو "توفمون" خرج من المنزل في منتصف الساعة السادسة .. وقصد إلى مجلس النواب ليتولى رئاسة إحدى اللجان البرلمانية ولاينتظر ان يعود قبل الظهر .. ولذلك اضطر "جانيمار" إلى ان يؤجل تفتيش الطابق الثاني إلى ان يعود النائب .. وقصد إلى الطابق الثالث ففتشه تفتيشا دقيقا. ثم فنتش سطح المنزل والطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" نفسه ..
ولكن بغير جدوى ..

وحوالي الظهر ، عاد النائب "توفمون" وهو رجل وقور وسياسي حازم اكتسب احترام جميع الأحزاب ..
وقد اشتهر هذا الرجل بحافظة اوراقه الضخمة التي لا تفارقه أبدا منذ كان وزيرا .. واشتهر كذلك بأنه قليل الكلام في مجلس النواب ..

فصاح عندما وقع بصره على "جاسير" :

- سنداتي ! .. أين سنداتي التي ابتعتها بكل ما ادخرته من مال ؟
- إنها سرقت مع سنداتي وسندات جميع زبائني ..
- سرقت ؟ ..

- نعم .. سرقت من غرفتي منذ نصف الساعة ..

- يا للسماء .. وما الذي جاء بسنداتي إلى غرفتك ؟

- إنني سحبتها أمس من بنك "الكريدي ليونيه" لأودعها في بنك فرنسا ..

- إنك المسؤول يامسيو "جاسير" .. وعليك ان تدفع لي قيمة سنداتي ..

- ومن أين المال ؟ إنني خربت .. أفلست ..

- خربت .. أفلست .. وهذا المنزل .. الا تملك هذا المنزل ؟ ..

وحدث في هذه اللحظة ان فتاتين من سكان المنزل ارادتا الخروج فصاح "جانيمار" في غضب :

- كلا .. يجب الا يخرج احد .. يجب الا يخرج احد قبل ان اجد سنداتي ..

- هل تظن اننا سنحتاج إلى معونة ؟ إذا شئت فإنني استعين بصبي البقال او صبي القصاب لمنع سكان المنزل من الخروج ..

- كلا .. إننا لسنا بحاجة إلى معونة صبيان البقالين والجزارين. ولكن إذا كان لابد من الاستعانة باحد .. فالواجب الاتصال تليفونيا في الحال بمكتب "باربيه" المحامي ..

ثم يجب كذلك إبلاغ الامر إلى البوليس .. ولكن لا .. إن في هذا مضيعة للوقت .. يجب ان نشرع في العمل حالا ..

قال محدثا مسيو "جاسير" :

- يجب ان نعمل في هدوء ورزانة .. إننا مازلنا نسيطر على الموقف ، ولايزال في مقدورنا ان نضع ايدينا على السندات قبل ان يستطيع السارق تهريبها من المنزل .. المهم الا يخرج احد ..

ولكنه كان إذا تكلم .. أو وجه إلى الحكومة استجابا .. ارتجف أعضاء الوزارة إشفاقا على كراسيهم .. دخل هذا الرجل المحترم البيت بخطى بطيئة مترنمة .. ودلف إلى غرفة حارسه الباب ليأخذ رسائله .. فلحق به مسيو "جاسير" هناك .. وسرد له تفاصيل الحادث .. وقد أصغى إليه النائب باهتمام .. ووعد بان يستخدم نفوذه لدى رجال البوليس إذا أبلغهم مسيو "جاسير" الأمر .. وأصر على أن يفتش القوم منزله ..

قال :

- من يعلم ؟ ربما كان بعضهم قد استطاع أن يصطنع مفتاحا لشقتي وأن يخفي السندات المسروقة بين امتعتي .. فتعاون "جاسير" و "جانيمار" على تفتيش بيت النائب .. ولكنهما لم يعثرا فيه على أثر للسندات ..

وأخيرا قرر الرجلان أن يتناولوا طعام الغداء في مطعم صغير يقع في مواجهة المنزل .. وكان في استطاعتهما وهما في المطعم أن يرقبا باب المنزل ..

ولم يشعر "جانيمار" بقابلية للطعام .. إذ أفقده خسارة سندات كل شهية .. وكذلك كان حال مسيو "جاسير" الذي لم يفتأ يشكو الدوار .. فترك الرجلان صحاف الطعام .. وراحا يقلبان المشكلة على جميع وجوهها وكل منهما يحاول أن يجد عند الآخر ما يبعثه على الاطمئنان .. إن المسألة غاية في الوضوح .. فقد استطاع أحدهم أن يدخل غرفتك ويسرق السندات .. ولكن أحدا لم يبرح المنزل .. وهذا معناه بالتأكيد أن السارق لا يزال موجودا بالمنزل .. وكذلك السندات .. هذا صحيح ..

- وإذن فسنداتي لا تزال في المنزل .. اللهم إلا أن تكون قد طارت من إحدى النوافذ .. وهذا بالتأكيد ..

ولم يتم "جانيمار" كلامه .. وارتسمت في عينيه فجأة علامات الذعر والرعب ..

راح يحملق إلى رجل راه يجتاز الشارع .. ويقترّب من باب البيت .. - هو ذا "باربيه" .. يا للسماء ! ماذا جاء به إلى هنا ؟ فقال "جاسير" في شيء من الاضطراب :

- ألم تقل لي إننا نستطيع الاستعانة بالمحامي "جان باربيه" ؟ لقد شعرت بحرج الموقف .. ورايت أننا لن نخسر شيئا إذا اشركناه معنا في البحث .. فاتصلت به تليفونيا ..

- ولكن هذا هو الجنون بعينه .. من ذا الذي يتولى التحقيق هنا .. أنا أم أنت ؟ .. إن "باربيه" يجب ألا يكون له شأن معنا .. يجب ألا يدخل هذا المنزل .. هل فهمت ؟ إنه دخيل ينبغي علينا أن نحذره .. كلا .. إننا نستعين بالثعابين ولا نستعين بهذا الرجل وشعر "جانيمار" فجأة بان الاستعانة بـ "باربيه" في هذا الحادث خطر شديد لا تؤمن مغيبته ..

شعر بانه إذا دخل المنزل ووضع إصبعه في الحادث .. واهتدى إلى مكان السندات .. فإنه لن يتردد في وضعها في جيبه .. خصوصا إذا علم أن بعض هذه السندات تمثل كل الثروة التي جمعها طيلة حياته ..

استولى عليه الغضب فنهض مسرعا ، وعبر الشارع ، ووصل إلى باب المنزل في الوقت الذي هم فيه "باربيه" بأن يقرع الباب .. - اذهب من هنا .. لسنا بحاجة إليك ، لقد اتصلوا بك خطأ ، اذهب ..

- ماذا دهاك أيها العزيز "جانيمار" .. أراك حانقا بلا مبرر ..

- لا عمل لك هنا ... فانصرف ، وبأسرع ما يمكن ..

- لا بد إذن أن ما قيل لي تليفونيا صحيح ، وإذن فقد سلبوك أموالك المدخرة أيها المسكين "جانيمار" .. ألسنت بحاجة إلى مساعدة ... ؟

- قلت لك اذهب من هنا ... وبأسرع ما يمكن ، أنا أفهم معنى مساعدتك ، إنك تبدأ دائما بمساعدة نفسك قبل أن تساعد غيرك ..

- أخائف أنت على سنداتك ؟

- نعم ... إذا وضعت إصبعك في الموضوع فلن أرى سنداتي أبدا ...
 - إنن دعنا من هذا الموضوع ... والحرب عن وجهي ...
 - قلت لك : إنني لا أسمح لك بالدخول ...
 - لست بحاجة لأن تسمح لي ... إن لي عملا في هذا المنزل ... ولا ...
 إن أدخل ...
 وكان مسيو " جاسير " قد لحق بهما ... فالتفت إليه " باربيه " وقال له :
 - عفوا يا سيدي ... هل تكلم بهذا المنزل أنسة تشتغل بتعليم البيانو تدعى الأنسة " هافلين " ؟
 - إنك لا تعرف هذه الأنسة ولا شأن لك بها . إنك قرأت اسمها الآن على اللوحة النحاسية المثبتة على الجدار .
 - ماذا تعني ؟ اليس من حقني أن أتلقى دروسا في البيانو ؟
 - تستطيع أن تتلقى ما شئت من الدروس في غير هذا المنزل .
 - أنا أسف جدا ... ولكنني شغوف بدروس الأنسة هافلين ...
 - إنني أمنعك منعا باتا من ...
 فلم يعبا به " باربيه " بل قطب حاجبيه ... وشق طريقه إلى المنزل ودخل بقدم ثابتة ... فشيعة " جانيمار " بنظرة قلق ... وراح يرقبه وهو يصعد السلم دون أن يجسر على منعه ...
 ولا شك أن " باربيه " استطاع بسهولة أن يتفق مع الأنسة هافلين ... لأن جو المنزل ما لبث أن امتلا بأنغام البيانو . فعمم " جانيمار " في غضب وقد تضاعف بأسه وخوفه على سنداته :
 - قبحه الله ... ماذا نستطيع أن نفعل مع هذا الشيطان ؟
 ثم استأنف العمل ففتش غرفة حارسه الباب . وفتش سطح المنزل مرة أخرى ...
 ونظت انغام البيانو تنبعث من الطابق الثالث بغير انقطاع ...
 - كيف يستطيع الإنسان العمل وسط هذه الضوضاء ؟
 وحوالي الساعة السادسة . صعدت البيانو ورأى " جانيمار " غريمه

" باربيه " وهو يحاول الإنصراف وفي يده علبة من الورق المقوى ...
 يالله ... إن السندات في هذه العلبة بغير شك ...
 هجم عليه . وانزح العلبة من يده ... وفتحها ... لم يجد بها سوى بعض أوراق ممزقة ... وقبعات قديمة . وقطعة من الفرو أكلها العث .
 - لما كانت الأنسة " هافلين " لا تستطيع مغادرة المنزل . فإنها توسلت إلي أن أحمل هذه الأشياء لألقي بها في صندوق المهملات والقانورات ...
 يالله ... ما أجمل هذه الفتاة يا " جانيمار " ... وما أروعها في العزف على البيانو ... إنها تعتقد أن استعدادي عظيم لتعلم البيانو . وقد أكدت لي أنني إذا وانظبت على تلقي الدروس عندها فإنني أصبح في أقرب وقت أبرع من يستجدي بالعزف على البيانو في الشوارع وعلى أبواب الكنائس . وقضى " جانيمار " و " جاسير " طول الليل في حراسة المنزل .
 فربط أحدهما في الخارج . وربط الثاني في الداخل لتفتيش من يريد الخروج . وخوفا من أن يلقي السارق بحزمة السندات من إحدى النوافذ لشريك له في الشارع .
 وفي صباح اليوم التالي . استأنف الرجلان العمل ... ولكن بغير جدوى ...
 وحوالي الساعة الثالثة ... أقبل " باربيه " حاملا في يده علبة الورق التي المرغ محتوياتها في اليوم السابق ...
 ووقع بصرة على " جانيمار " فحياه بابتسامة وصعد السلم مسرعا .
 وما هي إلا لحظة حتى بدأ درس البيانو ... وامتلا جو المنزل بالانغام المزعجة ...
 قال لنفسه :
 - ترى ماذا يفعل هذا الشيطان الآن ؟ لاشك أنه يبحث عن سنداتي ...
 وصعد السلم مسرعا ... والصق أذنه بباب الطابق الثالث ... وأصغى باهتمام ...
 لم يسمع أية حركة في شقة معلمة البيانو . ولكنه سمع صوتا

خشنا منبعنا من شقة الفتاة التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة
قال لنفسه :
- هذا صوته ..

واستولى عليه فضول شديد لم يطق معه صبيرا .. فطرق
الباب واجابه صوت 'باربيه' من الداخل :
- ادخل . إن الباب مفتوح ..

فدخل 'جانيمار' .. ورأى الأنسة 'ليجوفيه' - وهي فتاة سمراء
على جانب عظيم من الجمال - جالسة أمام الآلة الكاتبة .. و'باربيه'
يعلي عليها كلاما .

- هل جئت تتجسس علينا ؟ لا تتعب نفسك .. فالآنسة ليس عندها
ما تخفيه .. وأنا كذلك .. إنني املئ عليها مذكراتي ..
ثم التفت إلى الفتاة وراح يعلي عليها :

'وفي ذلك اليوم .. فاجاني المفتش 'جانيمار' في غرفة الأنسة
'ليجوفيه' الحسناء ، التي عرفتھا عن طريق معلمة البيانو . فشرع
يجيل الطرف في أنحاء الغرفة باحثا عن السندات المفقودة . ولكنه لم
يجد سوى حذاء قديم تحت أحد المقاعد ، فيالله . ما أشق مهنة رجال
البوليس !

فنظر إليه 'جانيمار' شزرا ، وتركه وانصرف ، واستأنف 'باربيه'
إملاء مذكراته ..

وبعد قليل ، هبط 'باربيه' السلم . متأبطا تلك اللعبة المصنوعة من
الورق ..

وراء 'جانيمار' .. ووقف مترددا ..

ترى ماذا يحمل الشقي في هذه اللعبة ؟

واشدد به الخوف فجأة .. فاقترب من 'باربيه' وتناول اللعبة
وفتحها . ولكنه لم يجد بها سوى قصاصات من القماش وبعض
جرائد قديمة .

وهكذا أصبحت حياة 'جانيمار' لا تطاق ..

كان منظر 'باربيه' وهو يدخل ويخرج يثير غضبه وحنقه .. وكانت
علبة الورق التي لا تفارق 'باربيه' كلما دخل او خرج تثير ريبته
وشكوكه .. ولكنه لم يشأ ان يترك شيئا للظروف والمصادفات . فراح
يفتش العلبة كلما راها .. خوفا من ان يستخدمها 'باربيه' في تهريب
السندات ..

وفي كل مرة كان 'باربيه' يقهقه حتى يستلقي على قفاه .

وكانما اراد ان يزيد من حنق مفتش البوليس وغيظه وحيرته ..
فكان يقول له :

- إن السندات هنا .. وليست هنا .. فتش عنها . تجدها ..

ولم يعد في استطاعته هو ومسيو 'جاسير' ان يمنعا سكان المنزل
من الذهاب إلى اعمالهم .. وكل ما هنالك ان السكان سمحوا لهما
بإغتيشهم كلما خرجوا .

وشاع امر الكارثة التي نزلت بمسيو 'جاسير' .. فاقبل عليه عملاؤه
بمطالبونه باموالهم وودائعهم .. وازدحموا حوله في مكتبه ..
واصبحت الحالة في المنزل لا تطاق .

ويرم النائب 'توفمون' بهذه المضايقات فنصح لمسيو 'جاسير'
بإبلاغ الامر إلى البوليس ..

وتخرج الموقف واصبح لا يطاق ..

وفجأة حدث امر عجل بالنتيجة .. فقد سمع 'جانيمار' و'جاسير'
بعد ظهر احد الأيام ضجة شديدة في الطابق الثالث ووصلت إلى

اذانها صيحات نساء وسب وصخب . فصعدا إلى ذلك الطابق على
عجل .. وهناك وجدا الفتاتين 'هافلين' و'ليجوفيه' وقد أخذت كل

منهما بخناق الأخرى وراحتا تتضاربان وتتشاجران .. و'جان باربيه'
بينهما يحاول ان يفصل بينهما ويضع حدا للمعركة .

وقد نجح 'باربيه' أخيرا في التفريق بينهما . ولكن بعد ان تمزقت
لبابهما .. وانكشف صدراهما .

واستولت نوبة عصبية على الأنسة 'ليجوفيه' .. فحملها إلى

شقتها وبقيت 'هاغلين' وحدها امام الباب .. فراحت تنفث غضبها .

صاحت :

- إنني فاجأتها معا .. فاجأت 'باربيه' وهو يقبلها .. لقد سرقتني منه لأنه غازلني أولا .. وأنا التي قدمته إليها .. وعرفته بها ..

إنه مخلوق عجيب غامض ! فسله يا مسيو 'جانيمار' ماذا كان يعمل هنا طيلة الأسبوع الماضي .. ولماذا يستجوبنا .. ويفتش هنا وهناك .. نعم إنه يعرف سارق السندات .. وقد قال لي بلهجة التأكيد إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات .. وطلب إلي الا اذكر ذلك لكائن من كان ..

هذا الرجل يعرف كل شيء .. ويعرف موضع السندات المسروقة ، وقد قال لي مرة : إن السندات في المنزل وليست فيه .. فاحذر هذا الرجل يا مسيو 'جانيمار' .. إنه ..

وفي هذه اللحظة .. اقبل 'باربيه' فامسك بساعد 'هاغلين' .. ودفعها إلى شقتها وهو يقول :

- تعالي يا معلمتي .. ولا تتكلمي فيما لا علم لك به .. إنك لا تجيدين شيئا غير العزف على البيانو .. اما فيما عدا ذلك فإنك تتخبطين ..

ولم ينتظر 'جانيمار' أكثر من ذلك .. فقد أضاعت كلمات 'هاغلين' السبيل امامه ..

نعم . لم يكن ثمة شك في ان حارسة الباب هي التي سرقت السندات فكيف لم يخطر له ذلك ببال ؟

استولى عليه الحنق .. فهبط السلم مسرعا .. ومسيو 'جاسير' في اثره ..

وقد وجدا حارسة الباب في غرفتها .. فصرخ 'جانيمار' في وجهها :

- أين سنداتى ؟ أين اموالي ؟ إنك أنت التي سرقت السندات .

- ماذا فعلت بالسندات أيتها اللصة ؟ ..

وهكذا مرت بحارسة الباب ليلة مخيفة .. أعقبها يومان حافلان

بالمناعب والأسئلة .. والسب والصخب . ولم يتطرق قط إلى ذهن

'جانيمار' ان 'باربيه' اخطا في اتهام المرأة التعسة .. خصوصا وأنه وجد ان هذا الاتهام يفسر كثيرا مما غمض عليه ..

والواقع ، ان حارسة الباب هي المخلوقة الوحيدة التي كان في استطاعتها ان ترى حزمة السندات فوق المائدة ، وهي كذلك المخلوقة الوحيدة التي تحتفظ في غرفتها بمفاتيح مزدوجة للطابق الذي يقيم به مسيو 'جاسير' ، فمن البديهي إذن وهي التي تعرف عادات مسيو 'جاسير' وطباعه كما لا يعرفها سواها ، ان تكون قد انتهزت فرصة وجوده في مكتبه ففتحت الباب الخارجي لغرفة نومه ، وحملت رزمة السندات وانطلقت بها إلى غرفتها حيث وجدها مسيو 'جاسير' هناك فيما بعد ..

- لاشك في ان هذه التعسة هي سارقة السندات ، ولكن سواء اكانت هي السارقة أم كان سواها فالمهم ان نجد السندات .. انا اقرر انها جعلت السندات إلى غرفتها ، ولكن باية معجزة استطاعت ان تخفي السندات في خلال الفترة بين الساعة التاسعة صباحا - اي موعد السرقة - والساعة الواحدة .. وهو الوقت الذي فتشنا فيه غرفتها ؟ هذه هي المعضلة الحقيقية ..

وعبثا حاول 'جانيمار' ان يحمل المرأة على الكلام .. سالها في رفق .. وهددها وتوعدها .. ولكن بغير جدوى .. لأنها

أصرت على الإنكار التام .. فهي لم تر شيئا .. ولا تعلم شيئا .. وفي صباح أحد الأيام قال مسيو 'جاسير' محدثا 'جانيمار' :

يجب ان نصل إلى نتيجة مهما كلفنا ذلك ولعلك قرأت في الصحف ان النائب 'توفمون' استطاع بالأمس ان يسقط الوزارة ، وسوف يزحم المنزل اليوم بالصحافيين الذين يريدون مقابلته .. والتحدث إليه وليس في استطاعتنا كما تعلم ان نفتش رجال الصحافة كما تعودنا تفتيش سكان المنزل ..

وهنا اعترف 'جانيمار' بان الموقف اصبح لا يحتمل .. وقال محدثا

مسيو "جاسير" بلهجة التأكيد :

- ساعرف الحقيقة كلها بعد ساعة ..

وبعد ساعة كان "جانيمار" يطرق باب مكتب "جان باربيه". قال له المحامي وعلى شفطيه ابتسامة المشفق :

- كنت انتظرك يا "جانيمار" فماذا تريد ؟

- اريد مساعدتك .. فقد عجزت عن حل هذا اللغز الذي ضاعت فيه اموالي ..

نهض "باربيه" واقفا .. ووضع يده بلطف على كتف "جانيمار" .. ولم ينظر إلى وجهه لكيلا يشعره بمذلة العجز والهزيمة كانت المقابلة بينهما مقابلة زميلين تصافحا .. لا مقابلة بين منتصر ومهزوم .. قال "باربيه" :

- الواقع يا عزيزي "جانيمار" ان سوء التفاهم بيننا يؤلمني اشد الالم .. فنحن رجلان يجب ان يتزاملا .. ويتعاوننا بدلا من ان يناصب كل منهما الآخر العدا ..

فاطرق "جانيمار" براسه ..

كان ضميره يؤنبه على انه صادق "باربيه" .. وعلى ان الاقدار ارغمته على زمالة هذا الرجل الذي يرتاب فيه بالغريرة .. ويرتاب في وسائله ومراميه .. بيد ان هناك ظروفًا وعوامل تبجح للشرفاء ان يصموا اذانهم عن سماع صوت الضمير .. ومن هذه العوامل ان يفقد الإنسان كل ما اخره في الحياة .. ثم لا يجد بدا لاسترداد امواله المفقودة من ان يضع يده في يد شخص مشكوك في ذمته ..

صم "جانيمار" اذنيه عن صوت ضميره .. وغمغم قائلا :

- إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات .. اليس كذلك ؟

بلى .. إنها هي .. لسبب واحد .. هو أنه لم يكن في مقدور أحد سواها ان يسرق السندات ..

- ولكن كيف لهذه المرأة التي اشتهرت بالامانة ان تقدم على مثل هذه الفعلة ؟

- لو انك كلفت نفسك مؤونة البحث والتغلغل في اسرار حياتها لعلمت ان لهذه المرأة التعمسة ولدا مسرفا متلافا يجردها من كل اموالها .. ويرهقها بمطالبه .. وقد انحدرت المسكينة إلى هوة الجريمة واصغت إلى إغراء الشيطان لإرضاء ولدها ..

- واذن فقد اخذ ابنها سنداتى .. ويعثر ثمنها .. ؟

- كلا .. كلا .. ما كان لي قط ان اسمح بذلك .. إن سنداتك شيء مقدس يا "جانيمار" ..

- اين هي إذن ؟

- في جيبك ..

- كفى هذرا يا "باربيه" ..

- إنني لا اهزل في موطن الجد يا "جانيمار" .. ابحث في جيبك تجد سنداتك ..

واشار إلى احد جيوب "جانيمار" ، فمس هذا يده في جيبه بشيء من النخجل .. واخرج منه غلافا قرا عليه هذه الكلمات : إلى صديقي "جانيمار" ..

وفض "جانيمار" الغلاف باصابع ترتجف ..

كان والثقا ان "باربيه" دس الغلاف في جيبه عقب دخوله مباشرة .. ولكن ترى ماذا يتضمن هذا الغلاف ؟

اخرج منه طائفة من الاوراق .. عرف فيها سندات المفقودة ..

- سنداتى .. إنك رجل عظيم يا "باربيه" لا يوجد في العالم سوى "باربيه" واحد .. هو "جان باربيه" الذي انقذ اموال "جانيمار" .. إنك تستحق ان يقام لك تمثال يا "باربيه" .. انت بطل .. ولكن حدثني : كيف نجحت ؟ كيف استطعت استردادها؟ .. اطمأن "جانيمار" على سنداتة .. وثار في نفسه فضول المهنة اراد ان يعرف كيف نجح "باربيه" حيث فشل هو ..

قال :

تكلم يا "باربيه" .. ماذا فعلت ؟

- فعلت ماذا .. ؟

- اعني كيف وجدت حزمة السندات ؟ واين وجدتها ؟

فاجاب "باربيه" مداعبا :

- إنها كانت في المنزل .. ولم تكن فيه ..

- تكلم بالله .. ماذا فعلت ؟

- هل تعترف بعجزك ؟

- نعم ..

- وهل تعدني بالا تنظر إلي بعد الآن تلك النظرات المريبة التي

تجعلني اعتقد في بعض الاحيان انني ضللت ... سواء السبيل ؟

- تكلم يا "باربيه" .. تكلم ..

- يالها من قصة طريفة !! اؤكد لك يا عزيزي "جانيمار" انها ستثير

دهشتك وعجبك .. انني لم اسرد في حياتي قصة اعجب منها .. على ان

اللغز فيها غاية في السهولة . واني لاعجب كيف لم تهتد إلى معرفته

وانت ذلك الشرطي البارع ذو الماضي المجيد ؟

- واخيرا .. الا تريد ان تتكلم ؟ كيف خرجت حزمة السندات من

المنزل .. ؟

- إنها خرجت تحت انفك وبصرك يا عزيزي "جانيمار" . ولم تخرج

منه فقط . بل عادت إليه كذلك .. كانت تخرج من المنزل وتعود إليه

مرتين على الاقل كل يوم .. وقد قضيت عشرة ايام وانت تحني امامها

قامتك باحترام كلما خرجت او دخلت ..

- هذا غير معقول .. لقد فتشت .. لقد فتشت كل إنسان خرج من

المنزل ..

- نعم يا عزيزي "جانيمار" . إنك فتشت كل إنسان . وفتشت كل علبه

وكل حزمة . وكل صندوق اخرج من المنزل .. ولكنك لم تفتش المكان

الوحيد الذي كانت توجد به السندات ..

إن موظفي الجمارك على الحدود يفتشون جميع المسافرين

ويفحصون جميع الامتعة .. ولكنهم لا يفتشون حقايب رجال السلك

السياسي .. وذلك ما فعلته أنت .. فإنك فتشت كل شيء إلا الشيء الذي

وضعت به السندات ..

- إنني لا افهمك .. عن أي شيء تتكلم ؟

- عن حافظة اوراق حضرة الوزير السابق .. والنائب المحترم مسيو

توفمون ..

- ماذا تقول يا "باربيه" ؟ هل تتهم النائب "توفمون" ؟

- أنت مجنون يا "جانيمار" .. هل تعتقد انني استبيح لنفسي

اتهم نائب محترم ؟

يجب ان تذكر قبل كل شيء ان القانون يضع حضرات النواب

المحترمين فوق كل اتهام وكل شبهة ..

على انه إذا كان هناك بين النواب والوزراء السابقين رجل جدير بالا

الترفع إليه الشبهات والريب .. فهذا الرجل هو مسيو "توفمون" ..

هل تعتقد إذن انه كان شريكا ؟ ...

- لا ..

- من تتهم إذن ؟

- من اتهم ؟ ..

- نعم ..

- إنني اتهم حافظة اوراق النائب "توفمون" ..

وابتسم وصمت لحظة ثم استطرد :

- إن حافظة اوراق وزير سابق .. ونائب حالي هي في ذاتها

شخصية مهمة يا "جانيمار" .. فامامنا مسيو "توفمون" .. وامامنا

حافظه اوراقه .. والاثنان جزء لا يتجزأ .. وليس في الاستطاعة ان

لنصور مسيو "توفمون" بلا حافظة اوراقه .. او تصور حافظة

الاوراق بلا مسيو "توفمون" .. ذلك لأن احدا منهما لا يفترق عن الآخر ..

و يحدث في بعض الاحيان فقط أن يضع مسيو "توفمون" حافظة

اوراقه جانبا لكي يتناول طعامه مثلا او لكي ينام .. وفي هذه الحالة

يصبح حافظة اوراق مسيو "توفمون" شخصية مستقلة .. يوسوس

لها الشيطان في بعض الاحيان فتقدم على اعمال لا يمكن أن يعتبر مسيو 'توفمون' مسؤولا عنها.

وذلك بعينه ما حدث يوم سرقت حزمة السندات .

وهنا نظر إلى 'باربيه' في دهشة .. وسال نفسه :

- ترى ماذا يريد أن يقول ؟ وإلى أي غرض يرمي ؟

استطرد 'باربيه' :

- نعم .. هذا ما حدث يوم سرقت حزمة السندات . وضاعت اموالك ..

بعد أن استولت حارسة الباب على السندات أزعتها جريمتها وراعها الخطر الذي يتهددها ..

وإنها تفكر في طريقة للتخلص من الغنيمة التي توشك أن تجر

عليها الدمار وسوء السمعة .. إذا بها ترى فجأة حافظة أوراق مسيو

'توفمون' موضوعة على نافذة غرفتها وكان مسيو 'توفمون' قد دخل

غرفتها لياخذ رسائله ... فوضع حافظة أوراقه على النافذة .. وراح

يفض أغلفة الرسائل .. وفي هذه اللحظة لحقت به أنت ومسيو

'جاسير' . وذهبتما تسردان عليه تفاصيل الحادث .

وبينما كان الرجل يصغي إليكما في صبر وناة . تفتق ذهن حارسة

الباب عن فكرة فذة ..

كانت قد وضعت حزمة السندات على قاعدة النافذة وأخفتها تحت

طائفة من الجرائد القديمة .. ولم يكن أحد قد فتش غرفتها بعد ..

ولكنها كانت واثقة من أن الغرفة ستفتش عاجلا أو آجلا . فاقتربت من

النافذة دون أن يشعر بها أحدكم .. وأخرجت حزمة السندات من

مخبئتها .. ودستها في حافظة أوراق النائب 'توفمون' وهكذا انصرف

النائب من غرفة حارسة الباب متابعاً سنداتك وسندات مسيو

'جاسير' .

أصغى 'جانيمار' إلى هذا الإيضاح . دون أن ينطق بكلمة

اعتراض .

قال

- ولكن ألم يلاحظ مسيو 'توفمون' وجود حزمة السندات في حافظة

أوراقه ؟

- نعم لم يلاحظ .

- كيف ذلك ؟ .. إنه متى فتح الحافظة ..

- ولكنه لم يفتح الحافظة .. ولا يفتحها أبدا .. إن حافظة أوراق

مسيو 'توفمون' كغالبية حوافظ رجال السياسة ليست في الواقع إلا

طدعة ومظهرا من مظاهر التهديد ... فلو أنه فتحها .. لوجد بها

السندات .

- ولكن لا بد له أثناء العمل من أن يفتح الحافظة .

إنه لا يعمل .. ولا يفتح الحافظة . ووجود الحافظة ليس شرطا

للعمل . وأكثر السياسة يقنعون بحافظة الأوراق دون العمل . ذلك لأن

الحافظة في ذاتها تمثل العمل . وتمثل القوة . والنفوذ ..

عندما صعد مسيو 'توفمون' إلى منبر الخطابة أمس . وقد كنت

موجودا آنذ في مجلس النواب - حمل معه حافظة أوراقه . فارتجف

الوزراء . وقالوا لأنفسهم 'إن حافظته مكدسة بالأوراق . مليئة بالأرقام

والإحصاءات' وقد بسط مسيو 'توفمون' الحافظة أمامه . ولكنه لم

يداول منها شيئا ..

ثم راح يتكلم . ويضرب بيده بين الغينة والغينة على حافظة أوراقه .

كمن يقول : 'الوثائق هنا . وهنا الأدلة على صحة ما أقول'

في حين لم يكن بالحافظة سوى سندات 'جانيمار' . وسندات

'جاسير' . وطائفة من الصحف القديمة .

تكلم إذن مسيو 'توفمون' . وراح يؤيد كلامه بالضرب على حافظة

أوراقه . وكان في ذلك الكفاية ..

وهكذا اسقطت حافظة مسيو 'توفمون' الوزارة .

- ولكن كيف علمت كل ذلك ؟

علمت ذلك عقب انصراف مسيو 'توفمون' من مجلس النواب بعد أن

قرر المجلس بأغلبية الأصوات عدم الثقة بالوزارة .. فقد قصد مسيو

توفمون' إلى منزله سيرا على الأقدام . وبينما هو في طريقه إذا
براكب دراجة يصطدم به .. وإذا بالنائب المحترم يسقط على الأرض ..
وإذا بحافظة أوراقه تطير من يده ..

وفي هذه اللحظة خرج من أحد الأزقة شريك لصاحب الدراجة.
فتظاهر بمساعدة النائب المحترم .. وانتهاز الفرصة .. وأخذ حزمة
السندات من الحافظة .. ووضع مكانها حزمة من قصاصات الورق ..
ولست في حاجة بالتاكيد لأن أذكر لك اسم هذا الشريك .

وهنا أغرق 'جانيمار' في الضحك .
لم يسعه - بعد أن اطمأن على سندات - إلا أن يرى الجانب المضحك
من المأساة . وإلا أن يضحك ملء فمه .

استطرد 'باربيه' قائلا :

- هو ذا السر أيها الصديق العزيز .. ولكي أقف على كل هذه
الحقائق .. رايت لزاما علي أن أدخل المنزل وأن أملي مذكراتي . وأتلقى
دروسا في البيانو ..

ولا أكتفك أنني وجدت في هذا الحادث من المتع مالم أجده في
سواه .. فقد استمتعت في الطابق الثالث بمغازلة فتاتين لا تقع العين
على أجمل منهما . واستمتعت في الطابق الثاني بمنظر مسيو
'توفمون' . وهو يروح ويغدو كالمغفل والسندات تحت إبطه . ثم
استمتعت بمرأى العزيز 'جانيمار' وصديقه 'جاسير' وهما يحرقان
الآرم غيظا ..

على أن موقف حارسة الباب هو بغير شك من أعجب المواقف .. فهي
ترى الآن في مسيو 'توفمون' محتالا من أحط المحتالين . وتعتقد أنه
وجد السندات في حافظة أوراقه فاستولى عليها ولزم جانب الصمت .
هل يجب أن أخطره ؟

- ولماذا ؟ .. دع الرجل مرتاح البال يروح ويجيء وقصاصات الورق
تحت إبطه .. كلا يا 'جانيمار' .. يجب ألا تبوح لكائن من كان بكلمة
واحدة مما ذكرت لك .

- ما عدا مسيو 'جاسير' بالتاكيد .. إذ يجب أن نخطره بما حدث
ونرد إليه سندات ..

- أي سندات ؟ ..
- سندات التي سرقت منه ووجدتها أنت في حافظة مسيو
'توفمون' ..

- اه .. أنت مخطئ يا عزيزي 'جانيمار' .. إنك لا ترى الأشياء على
وجهها الصحيح . هل تعتقد أنني سارد إليه شيئا ؟
- بالتاكيد .. سندات ..

فضرب 'باربيه' المكتب بيده وقال بحدة :

- هل تعرف من هو 'بيير جاسير' يا 'جانيمار' ؟ إنه شقي أثيم لا
يفترق في شيء عن ابن حارسة الباب .. إنه لص محتال عرف كيف
يسرق عملاءه وكيف يعبث بأموالهم . وأدهى من ذلك أنه كان يتاهب
للفرار بأموال عملائه وودائعهم .. خذ وانظر .. ها هي تذكرة سفر إلى
'بروكسل' بتاريخ اليوم الذي سحب فيه السندات من البنك .. لا
لبودعها ببنك فرنسا كما زعم .. وإنما ليغر بها .. فما قولك في ذلك يا
'جانيمار' ؟

فصمت 'جانيمار' ..
كانت لفته بـ 'جاسير' قد تزعزعت عقب سرقة سندات ..
بيد أنه قال :

- ولكن للرجل عملاء أمناء ليس من الإنصاف حرمانهم من أموالهم
والانحدار بهم إلى هوة الخراب والإفلاس ..

- إنهم لن ينحدروا إلى هوة الخراب والإفلاس .. كلا . أنا لا أرضى
لهم مثل هذا الغبن ..
- إذن ؟ ..

- إن 'جاسير' رجل غني ..
- بل أصبح لا يملك سنتيما واحدا ..
- أنت مخطئ يا عزيزي 'جانيمار' .. فقد دلتني أبحاثي والمعلومات

التمين ، ثم إنني على موعد هنا مع إحدى السيدات ..

- إلى اللقاء إذن ..

وانصرف "جانيمار" ، وهو مثل الجيب والضمير ..

وما كان يصل إلى الباب ، حتى صادف فتاة سمراء عرف فيها على

الغور الأنسة كيجولبييه الحسنة ..

كانت هي بغير شك (السيدة) التي يبتكرها "باربيه" .. وبعد

بومين . وقع بصر "جانيمار" على "باربيه" وهو يدخل دار السيئنا

وبرففته "هاطين" الحسنة ..

التي استقيتها من مصادر موثوق بها على أن الرجل غني وفي

استطاعته أن يرد إلى عمالته أموالهم . وبهذه المناسبة يجب أن تعلم

أنه إذا لم يكن قد أبلغ اليوليس بالحادث منذ البداية فليس ذلك إلا لأنه

يخشى أن يضح رجال القانون إصبعهم في أعماله .. فتظهر لهم

فضائحه ..

كلا يا عزيزي "جانيمار" .. إن "بيير جاسير" يملك مالا ..

- هل المهم من ذلك أن في نيتك الاحتفاظ بـ

- بالتأكيد ..

وانكن هل تفوي الاحتفاظ بتمنها ؟ ..

- لا .. إنني لن احتفظ بها دقيقة واحدة ..

- ماذا ستفعل بها إذن ؟

- سأوزعها ..

- توزعها ؟

- نعم .. سأوزعها على المعوزين وعلى الجمعيات الخيرية .. فأطمئن

يا عزيزي "جانيمار" .. اطمئن وثق بانني سأنفق نقود "جاسير" في

خير وجوه الإنفاق ..

فهز "جانيمار" رأسه بارتياب ..

لاحظ أن هذا الحادث قد انتهى كغيره من الحوادث ، وأن "باربيه" قد

عاقب المذنب ، وانفذ البريء . ولكنه لم ينس نفسه وجد أن السكوت

في هذا الموقف معناه التستر على الجريمة ولكنه من ناحية أخرى

أحسن بالسيدات في جيبه وشعر بفضل "باربيه" في إعادتها إليه ..

- ماذا بك ؟ هل أنت غاضب ؟

- لا .. لا .. لست غاضباً ..

- إذن فأنت سعيد ..

فلم يسع "جانيمار" إلا الابتسام ..

- يسرني أنني استطعت أن أؤدي لك إحدى الخدمات والآن ، إلى

اللقاء أيها الصديق العزيز ، ومعذرة ، لقد أضعت الكثير من وقتك

اللوكة السوداء

دوى طرق عنيف على باب المنزل رقم ٩ بشارع 'هوش' ..
 فاستيقظت حارسة الباب وقالت في ضجر وتبرم :
 - اعتقد ان جميع سكان المنزل قد عادوا من الخارج .. فترى من
 الطارق ؟ إن الساعة الآن الثالثة صباحا على الأقل ..
 فاجاب زوجها :
 - ربما كان بعضهم يريد مقابلة الطبيب ..
 وقد صدق حدس الرجل .. لأن زوجته ماكادت تفتح الباب .. حتى
 سالها الطارق :
 - في أي طابق يقيم الدكتور 'هاريل' .. ؟
 - إنه يقيم في الشقة اليسرى بالطابق الثالث .. ولكنه لا يقابل أحدا
 في أثناء الليل .. ولا يبرح منزله أبدا في مثل هذه الساعة .. - ولكن
 يجب في هذه الليلة أن يزج نفسه قليلا ..
 قال ذلك ودخل المنزل وراح يصعد السلم مسرعا .. مر بالطابق الأول
 والثاني .. وبلغ إلى الطابق الثالث حيث يقيم الدكتور 'هاريل' قال
 لنفسه :
 - هذا بديع ، لقد أصبحت المهمة ميسورة .. ولكن يجب أن نطمئن
 أولا على طريقة الخروج .. فترى هل المدة التي انقضت حتى الآن كان
 فيها الكفاية لأن الطارق باب الطبيب وأطلب مقابلته فيرفض أن
 يقابلني .. كلا ، لا يزال أمامي متسع من الوقت ..
 وبعد عشر دقائق هبط صاحبنا السلم .. وقصد إلى الباب
 الخارجي .. ومر بغرفة حارسة الباب وجعل يسب الطبيب ويشتمه ..
 زاعما أنه رفض مقابلته ..
 ثم فتح الباب الخارجي وبأسرع من لمح البصر دس في قفل الباب

وخرج بعد ذلك وأغلق الباب وراءه بشدة .. فأحدث الباب ضجة
 ولكنه لم يغلق نظرا لوجود قطعة من الحديد في القفل ..
 وتريث الرجل في الخارج لحظة .. ثم عاد أدراجه .. ففتح الباب في
 هدوء .. ودخل دون أن يحدث أية جلبة .. واجتاز فناء الدار دون أن تراه
 حارسة الباب ..
 وهكذا اطمأن إلى سهولة الفرار من الباب الخارجي فيما لو فاجاه
 مفاجئ ..
 صعد الرجل السلم مرة أخرى حتى بلغ الطابق الخامس .. فتسلل من
 الباب الذي كان قد نجح في فتحه .. ثم أخرج من جيبه مصباحا
 كهربائيا وأضاءه .. ورأى على ضوءه أنه في دهليز صغير .. فخلع
 قميصه ومعطفه ووضعهما على أحد المقاعد .. وجلس على مقعد آخر
 واحاط حذاءه بغطاء من الصوف لكيلا يسمع لوقوع اقدامه صوت ..
 ولما فرغ من ذلك تنفس الصعداء
 وقال :
 - حمدا لله .. اعتقد أن كل شيء سينتهي على ما يرام في هذه
 المغامرة الموفقة ..
 إنني أتساءل في الحق لماذا لا يحترف جميع الناس مهنة
 المصوصية ؟ إنها مهنة يسيرة ومريحة ، ولا تتطلب أكثر من بعض
 الخفة واللباقة وسرعة الخاطر ..
 إنها مهنة الشخص الذي يريد الراحة والرفاهية ..
 قال ذلك ثم بسط أمامه ورقة عليها رسم تخطيطي للشقة ..
 واستطرد :
 - لنبدأ الآن بتطبيق هذا الرسم على الواقع .. ها هوذا المستطيل
 الذي يمثل الدهليز الذي أنا به الآن ..
 وها هي ذي قاعة الاستقبال وغرفة النوم وقاعة الطعام .. وكلها تطل
 على الشارع .. فمن العبث إذن إضاعة الوقت في هذه الناحية ..

والمواقع ان ترتيب الغرف لا يدل على ان الكونتس ممتاز بذوق سليم ..

واخيرا .. ها هو ذا الدهليز الذي يوصل إلى غرفة الثياب .. وهي الغرفة التي يفصلها عن مخدع الكونتس باب صغير .. وباب هذه الغرفة لا يبعد عن هنا سوى مسافة ثلاثة امتار .. كل هذا حسن .. لقد فهمنا الآن أين نحن .. وماذا يجب أن نفعل .. قال ذلك وطوى الورقة ووضعها في جيبه ثم سار في الدهليز وهو يحصي المسافة ..

- متر .. متران .. ثلاثة امتار .. هو ذا باب غرفة الملابس .. يا لله .. كم أنا موفق الليلة .. لو علم جانيمار بكل هذا لاعترف بأنني رجل موفق على طول الخط .. هانذا أمام باب ليس أيسر من فتحه .. نعم .. إن نصفه الأسفل مصنوع من الزجاج .. وفي الاستطاعة إزالة هذا الزجاج .. ودخول الغرفة دون أن تضطر إلى فتح الباب .. قال ذلك وأخرج من جيبه الأدوات الضرورية لرفع قطعة الزجاج التي تغطي النصف الأسفل من الباب ..

ولكن خطر له فجأة خاطر .. فقال لنفسه : ولكن إذا افترضنا ان الكونتس نسيت أن تغلق هذا الباب، أفلا يوفر علينا ذلك مهمة إزالة الزجاج؟ وهي عملية لا تخلو من الخطر فيما إذا هبط لوح الزجاج في داخل الغرفة وتحطم ..

قال ذلك ومقبض أكرة الباب . ففتح في الحال .. قال لنفسه : يا عزيزي كوبين .. إن الحظ يحالفك ويتامر معك . ويضع أمامك جميع التسهيلات ؟ ماذا ينقصك الآن ؟

إنك تعرف موقع كل ركن وكل قطعة من الأثاث في هذه الشقة . وتعرف المكان الذي تخبئ فيه الكونتس اللؤلؤة السوداء .. ولكن لكي يتسنى لك الاستيلاء على هذه اللؤلؤة .. يتعين عليك أن تكون أهدأ من

الهدوء وأخفى من الخفاء ..

وقضى أرسين كوبين نصف الساعة تقريبا في معالجة الباب الموصل بين غرفة الملابس ومخدع الكونتس .. واستطاع أخيرا أن يفتحه دون أن يحدث أية جلبة من شأنها أن مزعج الكونتس حتى ولو لم تكن نائمة ..

كان يعلم من الرسم الذي بجيبه أنه لم يبق عليه إلا أن يسير لصق مقعد كبير .. ينتهي به إلى مقعد آخر صغير .. ثم إلى طاولة صغيرة قريبة من الفراش .. وهناك على الطاولة .. يوجد صندوق لورق الرسائل .. قد وضعت الكونتس بداخله تلك اللؤلؤة السوداء الثمينة .. بعد كوبين على الأرض .. وراح يزحف لصق المقعد الكبير ولكنه لم يجد يصل إلى طرفه الأخير .. حتى كف عن الحركة وهو لاهث الأنفاس ضالقا القلب ..

نعم .. وثب قلبه بين ضلوعه .. فاستحال عليه أن يتغلب على الاضطراب الذي يستولي على الإنسان عادة وسط مثل هذا الظلام العمالك والسكون العميق ..

وقد دهش كوبين لهذا الاضطراب الفجائي ، الذي لم يشعر قط بمثله وهو في مواقف أشد من هذا حرجا .. بيد أنه لم يكن هناك أي خطر يتهدهده . فلماذا الاضطراب إذن ؟ ولماذا يطغى قلبه بمثل هذه الشدة حتى ليكاد يثب من حلقه ؟

ترى هل السبب في ذلك أنه يشعر بوجود الكونتس بالقرب منه ؟ أرهف أذنيه .. وخيل إليه أنه يسمع بالقرب منه تردد أنفاس هادئة منغلطة ، فاطمان كما يطمئن الإنسان إلى وجود صديق معه في الظلام ..

بحث عن المقعد الصغير حتى وجده ثم مد يده باحثا عن الطاولة فمست أصابعه إحدى قوائمها .

لم يبق عليه بعد ذلك إلا أن ينهض واقفا ويحمل اللؤلؤة السوداء ويلوذ بالفرار ..

وشعر بالارتياح حين خطرت له فكرة الفرار . والخروج من تلك
الغرفة الصامتة المظلمة . ذلك لأن قلبه كان قد بدأ يخفق من جديد
ويخفق بشدة حتى خيل إليه أن من المستحيل الا تسمع الكونتس
نبضات قلبه فتستيقظ من نومها .

وبذل جهود الجبابة ليسيطر على شعوره . واعصابه . ولكنه ما
كاد يهم بالوقوف . حتى مست يده شيئا على الأرض تبين في الحال
انه شمعدان ملقى هناك فبسط يده مرة أخرى . ومست أصابعه شيئا
آخر تبين انه ساعة صغيرة .
قال لنفسه :

- يا لله . ترى ماذا حدث ؟ .. وما الذي القى بالشمعدان والساعة
على الأرض ؟ .. ولماذا لم توضع هذه الأشياء في امكنتها الطبيعية ؟
وفجأة افلتت من بين شفتيه صيحة زعر . ذلك لانه مس شيئا ..
شيئا غريبا مخيفا . ولكن لا . لابد ان ذهنه المضطرب بتأثير الخوف قد
صور له هذا الشيء .

كان يحس بان أصابعه لا تزال تمس ذلك الشيء المخيف الذي لمست
منذ لحظة . والذي أدخل الذعر على قلبه .

ملك نفسه وسيطر على شعوره ومد يده مرة أخرى نحو ذلك الشيء .
مست أصابعه ذلك الشيء للمرة الثانية ومرت بجسده رعدة شديدة
ولكنه لم يجتذب يده بل صمم على ان يترك لأصابعه ان تتحقق نهائيا
من ذلك الشيء .

مست أصابعه كتلة من الشعر الناعم الطويل ثم مست وجهها .
كان الوجه باردا كالثلج .

لم يكن 'أرسين لوبين' بالرجل الذي ترعبه الحقائق . إنه زعر اولا لانه
كان في شك وارتباب ولانه لم يكن واثقا اما الآن وقد عرف الحقيقة رغم
هولها فإنه سرعان ما استعاد ثباته ورباطة جأشه .

أخرج مصباحه الكهربائي من جيبه وأضاءه وسلط أشعته على
الجسم الذي لمست

رأى امامه امرأة غارقة في بحيرة من الدماء وقد اصيبت في عنقها
وكتفها وصدرها بجروح مخيفة فجثا بجانبها وفحصها .
وجدتها ميتة .
- يا للسماء ..

وراح ينقل البصر بين ذلك الشعر المشعث والوجه الممتقع والجسم
المخنن بالجراح .. وبقع الدم السوداء التي تلتخ الأرض أضواء مصباح
الغرفة .. ونظر حوله .. فرأى جميع الأدلة على قيام نضال مخيف بين
المرأة وقاتلتها او قاتلتها .

كان الغراش مضطربا .. واغطيته ملقاة على الأرض .
ورأى الشمعدان والساعة .

ولاحظ ان عقربي الساعة يدلان على الساعة الحادية عشرة والدقيقة
العشرين .

ثم رأى مقعدا مقلوبا .. وبقع الدماء تلتخ الأثاث .
- واين اللؤلؤة السوداء ؟

ورأى علبة الرسائل موضوعة على المنضدة .. ففتحتها بسرعة ..
ولكنه وجدها خالية .

- هاأنذا قد خسرت نفسك يا عزيزي 'أرسين لوبين' .. كنت تفخر
منذ لحظة بان الحظ يحالفك ويتامر معك .. وبانك وفقت في مغامرة
المهيلة غاية التوفيق .

ها هي ذي الكونتس قد قتلت .. واللؤلؤة السوداء قد اختفت
والموقف لا يدعو إلى الارتياح .

إن أفضل ما تفعله الآن .. هو ان تلوذ بالفرار .. قبل ان توجه إليك
اهمة أنت بريء منها .. وتلقى على عاتقك مسؤوليات لا قبل لك على
احتمالها ..

ولكنه مع ذلك لم يهرب .. بل بقي في مكانه .
قال يحدث نفسه :

- اهرب .. كلا .. ليس 'أرسين لوبين' بالرجل الذي يزعجه منظر

الجثث فيلوث بالفرار .. إن على كوين حيال مثل هذه الجريمة واجبات يتعين عليه أن يضطلع بها .. إن لم يكن بصفة "أرسين لوبين" فبصفته "جان باربييه" المحامي الغد .. الذي يعمل لوجه الله .. ولوجه العدالة .. ولا يبتغي من عمله غير إحقاق الحق نعم .. لنفترض أن "أرسين لوبين" قد تلاشى الآن . وحل محله "جان باربييه" فماذا يفعل .. وكيف يبدأ التحقيق .. ويميط اللثام عن السر .. ؟

ولكن لا ! إن تحقيق مثل هذه الجريمة يتطلب عقلا مترنا . وتفكيراً سليماً .. وعقلي الآن أبعد ما يكون عن الاتزان والهدوء .. أحدثت جريمة شارع (هوش) ضجة كبرى .. ليس لضياح اللؤلؤة السوداء فقط .. وإنما كذلك لشخصية الكونتس "دانيلو" .. التي نهبت ضحية تلك الجريمة المخيفة .

والواقع .. أن الكونتس "دانيلو" كانت في وقت ما من أظهر الشخصيات في المجتمع الباريسي .. وفي الأوساط المسرحية .. إذ من ذا الذي لم يسمع باسم "ليونتين" المطربة المشهورة .. التي ختمت حياتها على المسرح بالافتتان بالنبييل الفرنسي العتيد الكونت "دانيلو" ..

اشتهرت الكونتس "دانيلو" .. ليس بمواهبها الفنية فقط . وبأنها كانت في شبابها ابرع مغنيات المسرح .. وإنما اشتهرت كذلك بثروتها الطائلة من اللآلئ والماسات والأحجار الكريمة التي كانت تترزين بها وقد جمعت الكونتس بعض هذه اللآلئ من المعجبين بها .. وهم كثيرون في كل بلد سمع أهله صوتها الفريد .. وأهداها زوجها الكونت البعض الآخر من تلك اللآلئ .

وقد كان يقال عن هذه المرأة كلما ظهرت في إحدى الحفلات أو السهرات بلالئها وأحجارها الكريمة .. إنها تحمل حول صدرها ثروة يحسدها عليها أكثر البنوك وبعض الحكومات .

بيد أن أهل باريس جميعاً مازالوا يذكرون الكارثة التي نزلت بالكونتس بعد موت زوجها .. فإنها تورطت في المضاربات تورطاً

خطراً ذهب بثروتها .. فبيعت لآلئها وكنزها الثمين من الماسات والأحجار الكريمة بالمزاد العلني .. ولم يبق لها من ذلك الكنز سوى اللؤلؤة السوداء الشهيرة .. وهي في ذاتها ثروة لا تقدر بثمن .

وقد كان في استطاعة الكونتس - إذا شاعت - أن تقضي بقية حياتها في رغد ورفاهة بثمن تلك اللؤلؤة الفريدة .. ولكنها رفضت أن يبيعها وأصررت على الرفض .. وأثرت أن تنتقل من قصرها الفخم .. إلى شقة متوسطة .. وأن تسرح جميع خدمها - عدا ثلاثة - وأن تعيش عيشة متواضعة .. على أن تفرط في تلك اللؤلؤة .. وقد قيل : إن سبب إصرارها على الاحتفاظ بهذه اللؤلؤة هو أن اللؤلؤة أهديت إليها من أحد ملوك أوروبا فقررت الاحتفاظ بها إلى النهاية .. لتذكر بها دائماً مجدداً التليد .. ومواهبها التي أحلها الملوك محلاً رفيعاً من تقديرهم . كانت الكونتس تقول للمقربين إليها :

لن أبيع هذه اللؤلؤة ما دمت على قيد الحياة .

وكانت تزين صدرها بهذه اللؤلؤة من الصباح إلى المساء .. حتى إذا هبط الليل أخفتها في مكان لا يعرفه أحد سواها .

وقد أذاعت الصحف كل هذه الحقائق عن المطربة المشهورة .. فأثارت بذلك فضول الناس إلى معرفة سر الجريمة . ومن عجب أن شيئاً لم يعقد الجريمة .. كما عقدها إلقاء القبض على الشخص الوحيد الذي هامت حوله شبهة ارتكابها .

نشرت الصحف في اليوم التالي للجريمة نبأ جاء فيه :

علمنا أن المفتش "جانيمار" الذي أنيطت به مهمة تحقيق جريمة شارع (هوش) قد ألقى القبض على "فكتور داينجر" خادم الكونتس "دانيلو" وأن هنالك من الأدلة الدامغة ما يثبت الجريمة ضد "داينجر" . ولعل من أهم هذه الأدلة عثور المفتش "جانيمار" بالقرب من جثة الكونتس على زر ثبت أنه سقط من ثياب المتهم .

ويذهب المحققون إلى أن "داينجر" لم يبرح شقة الكونتس في المساء ولم ينطلق إلى مسكنه كالمعتاد .. بل اختبأ بعد العشاء في غرفة

الملابس .. وراح يرقب سيدته حتى عرف المكان الذي خبات به اللؤلؤة السوداء .. ثم تريت حتى اوت الكونتس إلى فراشها .. فتسلل إلى مخدعها ..

ولكن المفهوم انه لم يقم حتى الآن دليل على صحة هذه النظرية التي يوجد من الملابس ما يضعفها ويثير الشكوك حولها .

من ذلك ان بعض جيران "داينجر" قرروا انهم ابصروا هذا الأخير وهو يبرح مسكنه في الساعة السابعة صباحا كالمعتاد وان وصيفة الكونتس وطاهيتها .. اللتين قضتا زهاء العشرين عاما في خدمة الكونتس قد قررتا انهما استيقظتا في الساعة الثامنة ، فوجدتا باب الشقة مغلقا بالمفتاح كالمعتاد .

فالمسألة الآن هي .. إذا كان "داينجر" هو المجرم حقا فكيف استطاع الخروج من الشقة ؟ .. وإذا كان قد استخدم مفتاحا مصطنعا فإين هو هذا المفتاح ؟ ..

ذلك ما يتعين على المحققين إيضاحه

غير أن المحققين لم يتمكنوا من إيضاح شيء . كل ما هنالك أنهم رجعوا إلى ملفات البوليس فوجدوا أن المتهم من ذوي السوابق ، وأنه سكير عرييد لا يحجم عن ارتكاب جريمة القتل عند الضرورة .

على أن الحادث لم يزيد مع مرور الأيام إلا غموضا فقد قررت الأنسة "ستكليف" ابنة عم الكونتس ووريثتها الوحيدة ، أن الكونتس كتبت إليها منذ شهر تكشف لها عن طريقها في إخفاء اللؤلؤة ، وعن المكان الذي تخبئها فيه . وأن الرسالة التي تتضمن كل هذه المعلومات قد اختلفت في اليوم التالي لورودها ، ولم يعرف سارقها . كذلك قررت حارسة الباب في منزل الكونتس أنها فتحت الباب في ليلة الجريمة لشخص مجهول زعم انه يريد مقابلة الدكتور "هاريل" .

ولما سئل الدكتور في ذلك قرر أن احدا لم يطرق بابه وأنه لم ير احدا . فمن كان إذن ذلك الشخص المجهول ؟ .. وهل هو شريك للمتهم؟ وقد هضمت الصحف والرأي العام فكرة وجود شريك للمتهم في شخص

ذلك الزائر المجهول .. وراح المفتش "جانيمار" يعزز هذه الفكرة بكل ما اوتي من قوة ..

كان يقول لقاضي التحقيق :

- إنني أرى في هذا الحادث إصبع "أرسين لوبين" فهو بغير شك شريك للمتهم .

- إنك ترى "لوبين" في كل مكان .

- إنني أراه في كل مكان .. لأنه حقا في كل مكان .

- بل قل إنك تراه في كل حادث يتعذر عليك فهم حقيقته ..

إن من السهل جدا نفي التهمة عن "لوبين" .. فالجريمة قد ارتكبت في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين كما يدل على ذلك عقربا الساعة . في حين أن الشخص المجهول الذي تكلمت عنه حارسة الباب والذي تعتقد أنت أنه "أرسين لوبين" لم يطرق باب المنزل إلا في الساعة الثالثة صباحا .. أي بعد أربع ساعات من ارتكاب الجريمة .

بيد أن "جانيمار" لم يقتنع بهذا التدليل المنطقي المعقول .

وإزداد شعوره بوجود "لوبين" في الجريمة .. حين رأى المحامي "جان باربيه" يقابل المتهم في سجنه .. ويتطوع للدفاع عنه .

هانت شكوكه في "باربيه" قد تضاعفت بعد حادث السندات المسروقة ، فقد لمس بيده شذوذ "باربيه" .. ووسائله العجيبة في حل جميع القضايا لمصلحته .. وهي وسائل فذة لا يوجد غير رجل واحد في العالم يمكن أن يتفقق عنها ذهنه .. وهذا الرجل هو "أرسين لوبين" .

رأى "باربيه" يتطوع للدفاع عن "فكتور داينجر" .. فاستنتج من ذلك المجهولين .. الأولى أن "داينجر" لابد أن يكون المجرم حقا .. والثانية أن "باربيه" إنما يعمل لتعرض واحد .. هو الاستيلاء على اللؤلؤة السوداء .

قال لنفسه :

- إذا أدين "فكتور داينجر" ، وثبتت عليه تهمة القتل . وكان "لوبين" شريكه فعلا ، فإنه لا يتردد في الاعتراف بهذه الشركة لينقذ نفسه من

الإعدام . وفي هذه الحالة ، يضع "لويين" وتضيق على "باربيه" فرصة الاستيلاء على اللؤلؤة .

غير أن الأدلة ضد المتهم كانت اضعف من أن تصعد أمام الجدل الصحيح .

ولكن العدالة كانت بحاجة إلى من تقتص منه ، وكان رجال البوليس كذلك بحاجة إلى ضحية يذرون بها الرماد في العيون التي ترى عجزهم وفشلهم . وعلى ذلك فقد قدم "داينجر" إلى المحاكمة .

ووجد المحامي "باربيه" أمامه قضية رابحة ، لا تحتاج إلى كثير من البراعة ، فإظهار القاضي على تفاهة القضية ونقص التحقيق .

قال إنه لا يوجد ضد المتهم أي دليل مادي ، فإذا صح وكان هو القاتل ، فإين المفتاح المصطنع الذي أغلق به باب الشك بعد أن ارتكب الجريمة؟ وإين الخنجر الذي قتلت به الكونتس؟ .. وأخيرا ، إين اللؤلؤة السوداء؟ ...

لم يعثر رجال البوليس في بيت المتهم على شيء من هذه الأدلة المادية .

أما الزر الذي وجده المفتش "جانيمار" بجانب جثة الكونتس فإنه لا يعتبر دليلا إذ يحتمل أن يكون المتهم قد فقد هذا الزر في غرفة سيدته في أثناء النهار .

وختم "باربيه" دفاعه عن المتهم بقوله :

- ومهما يكن من أمر فعليكم أن تثبتوا أن موكلي هو الذي ارتكب الجريمة . اثبتوا أن القاتل السارق ليس هو الشخص المجهول الذي دخل المنزل في الساعة الثالثة صباحا .. أما قرينة عقربي الساعة فلا يصح الأخذ بها ، إذ كان في استطاعة القاتل أن يحرك العقربين كما يشاء وقد أخذت المحكمة بالقوال الدفاع . وأصدرت حكمها ببراءة المتهم .

وأطلق سراح "فكتور داينجر" ، فخرج من سجنه ضعيفا هزيلا . مضطرب الحواس .

كانت الأسباب التي قضاهها في السجن قد تركت في نفسه أثرا سيئا . وكان منظر المشنقة الذي طالما تراءى له في أحلامه ، ثم الساعات الطويلة التي قضاهها بين أيدي المحققين ، والموقف الرهيب الذي وقفه في قفص الاتهام . كل ذلك ملأ نفسه ذعرا وهلعا ... فراح يلتمس الهدوء والطمانينة وراحة البال في غرفة متواضعة بحي "مونمارتر" . وكان أول ما فعله "داينجر" بعد خروجه من السجن .. أنه ذهب إلى مكتب الأستاذ "باربيه" .. ليشكر له تطوعه للدفاع عنه .

وقد قابله "باربيه" بشيء من الغتور وفاجاه بقوله :

- لقد كنت أنتظر قدومك .

- دعني أعبر لك عن شكري يا سيدي .. فإنا أدين لك بحياتي وحررتي .

- كن مطمئنا ... فإنت لا تدين لي بشيء لأنني لم أكن أدافع عنك .

- لم تكن ... إذن ...

- لقد كلفتنى الأنسة "ستكليف" بالدفاع عن مصالحها .

- الأنسة "ستكليف"؟

- نعم . وهي الوريثة الوحيدة للكونتس "دانديلو" .

- إذن؟

- وقد أناطت بي أن أرد إليها اللؤلؤة السوداء .

- اللؤلؤة السوداء ..؟

- نعم ، اللؤلؤة التي سرقتها .

- ولكنني لم أسرق اللؤلؤة .

- بل سرقتها .

- إذا كنت أنا الذي سرقتها . فمعنى ذلك أنني الذي قتلت

الكونتس...

- أنت الذي قتلت الكونتس!

- لمحاول "داينجر" أن يضحك . ولكن لم يخرج من فمه سوى فحيح

مزعج .

- من حسن الحظ يا سيدي أن محكمة الجنايات قد رأت غير رأيك وقضت ببراعتي .

فتحول إليه "باربيه" ، وأمسك بساعده بشدة وهتف :

- دعك من هذا الجدل العقيم الذي لا يجدي ، واصغ إلي جيدا ...
وافهم كل كلمة أقولها لك الآن .

حدث قبل مقتل الكونتس "دانديلو" بثلاثة أسابيع أنك سرقت مفتاح الشقة ونهبت به إلى محل "أوتير" تاجر الأقفال بشارع "أوبر كامف" رقم ٢٤٤ وطلبت إليه أن يصنع لك مفتاحا مماثلا

- هذا غير صحيح ! ... هذا غير صحيح ! .. لم ير أحد المفتاح الذي تتكلم عنه .. إنه لا وجود له .

- ها هو ذا المفتاح .

ووضع "باربيه" مفتاحا على مكتبه ، فساد الصمت لحظة ثم استطرد المحامي :

- إنك قتلت الكونتس بخنجر اشتريته من ميدان "الكونكورد" في

ذات اليوم الذي صنعت فيه مفتاح الشقة .

ويمتاز هذا الخنجر بأنه مثلث النصل .

فصاح "داينجر" :

- كل هذا كلام فارغ . إنك ترسل الكلام جزافا للإيقاع بي ... إن

أحدا لم ير الخنجر .

- ها هو ذا ..

فانكمش "داينجر" في مكانه ... واستطرد المحامي :

- ولا يزال مقبض الخنجر ملوثا بالدماء ... فهل يجب أن أوضح لك

مصدر هذه الدماء ...

- وبعد . إن معك مفتاحا مصطنعا ، وخنجرا ملوثا بالدماء ، ولكن

أحدا لا يستطيع أن يثبت أنهما مفتاحي وخنجري .

- يستطيع أن يثبت ذلك كل من تاجر الأقفال وبائع الخنجر ، ولاشك

أنهما سيعرفانك متى وقعت أبصارهما عليك .

وكان "باربيه" يتكلم بهدوء ، وبلهجة الواثق من نفسه فانقلبت سحنة "داينجر" .

لم يشعر بمثل هذا الحرج وهو في قفص الاتهام ، ولم يستطع أحد من المحققين أن يتغلغل في الحقائق كما تغلغل هذا المحامي الغريب الذي انقذه من الإعدام وهو يملك جميع الأدلة التي تثبت عليه الجريمة .

وعلى الرغم من ذلك فإنه حاول أن يتظاهر بقلة الاكتراث ثم سال :

- أهذا كل ما عندك من الأدلة ؟ ..

- بل لا يزال عندي دليل آخر إنك بعد أن ارتكبت جريمتك ، عدت من

الطريق التي جئت منها ، أي نفذت من المخدع إلى غرفة الملابس ،

وهناك استولى عليك الرعب والضعف فجأة ، فاستندت إلى الجدار

لمنع نفسك من السقوط .

- كيف علمت ذلك ، لا يستطيع أحد أن ..

- إن رجال العدالة لم يعلموا شيئا لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء

فحص الجدران ، ولو أنهم أشعلوا إحدى الشموع ، وفحصوا جدران

غرفة الملابس على ضوءها ، إذن لتبينوا على الجدران أثر أصابع يدك

اليمنى ، وهو أثر خفيف جدا ، ولكنه واضح ، بل إن الدم واضح جدا

في الأثر الذي تركه أصبعك السبابة على الجدار .

ولعلك تعلم أن بصمات الأصابع أصبحت في العصر الحديث من

أهم وادق وسائل ضبط المجرمين ، وإدانة المتهمين .

فماطرق "داينجر" برأسه وتصيب العرق البارد على جبهته ثم رفع

رأسه بعد لحظة وحملق بعيني المجنون إلى وجه هذا الرجل الذي

سرد عليه تفاصيل جريمة كأنه شهد بعيني رأسه كل مرحلة من

مراحلها .

أطرق برأسه مرة أخرى إطراقة العاجز المعترف بعجزه . شعر بأنه

أمام خصم عنيد ليس في وسعه إلا أن يطيعه .

- إذا رددت إليك اللؤلؤة فكم تعطيني ؟ ..

- لا شيء .

- كيف ذلك ؟ .. هل اعطيتك لؤلؤة لا يقل ثمنها عن بضع مئات من الوف الفرنكات و لا تعطيني انت شيئا ..

- إنني امنحك الحياة !

لمرت في جسد المجرم رعدة قوية .

على أن "باربيه" ما لبث أن استطرد بلهجة اقل قسوة :

- اصغ إلي يا "داينجر" .. هذه اللؤلؤة لا قيمة لها عندك . ومن المستحيل عليك أن تبيعها ... لأن رجال البوليس وفي طليعتهم المفتش "جانيمار" ، يعتقدون اعتقادا راسخا بانك القاتل . وهم يتحينون الفرصة لضبط اللؤلؤة معك . فإذا نجحوا اصبح من المستحيل إنقاذك من الإعدام . فلماذا إذن تريد الاحتفاظ باللؤلؤة؟ وهي كما ترى دليل خطير قد يقذف بك إلى يد الجلاد ..

- فقال "داينجر" :

- يوجد اناس يتجرون بالمسروقات . وقد اتمكن يوماً ما من بيع هذه اللؤلؤة باي ثمن .

- إنك لن تجد متسعا من الوقت لبيعها .

- لماذا ؟ ..

- لماذا ؟ .. لأن العدالة ستضع يدها عليك حينما تبرح هذا المكان . وستكون لديها في هذه الحالة ادلة مادية لا تقبل نقضاً ولا دفعا . سيكون لديها المفتاح المصطنع والخنجر الملوث بالدماء ، وبصمة يدك على الجدار .

وهنا دفن "داينجر" رأسه بين كفيه وراح يفكر .

لعن الساعة التي فكر فيها في مقابلة هذا الشيطان .. شعر بأنه فقد كل شيء .. وأنه يجتاز أخرج موقف مر به في حياته .

واستولت عليه الملالة والسام فجأة .. وشعر برغبته في أن يستريح وأن يستمتع بالحياة الهائلة ... دون أن يكون ثمة ما يهدده .

- متى تريد الحصول على اللؤلؤة ؟

- الليلة .. بعد ساعة على الأكثر .

- وإلا ؟

- وإلا فإنني أبرق إلى موكلتي الأنسة "ستكليف" بأن تبلغ امرك إلى رجال البوليس ، وتلفتهم إلى الأدلة المادية التي يكفي كل واحد منها لريك إلى السجن وضياعك .

- حسناً .. إنني تعبت من هذه الحالة التي لا تطاق ... فتعال معي لتأخذ تلك اللؤلؤة اللعينة .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، فانصرف الرجلان من مكتب "باربيه" بشارع "ليببيك" وعرجا على الطريق إلى ميدان "ليتوال" .

ولم ينطق أحدهما ببنت شفة في أثناء الطريق . وكانت تبدو على "فكتور داينجر" علامات التعب والسأم .

- إلى أين تذهب بي ؟ ..

فاجاب "داينجر" بصوت أجش :

- إلى حدائق "مونسو" .

- وهل ذهبت إلى هناك غداة يوم الجريمة ؟ ..

- نعم ! .. إنني بكرت في النهوض ، وقصدت إلى هناك قبل أن اذهب إلى بيت الكونتس .

ووصلا إلى حدائق "مونسو" . وسارا بحذاء السور الحديدي الذي يحيط بالحدائق .. حتى بلغا إلى مكان معين .. وهناك تهالك "داينجر" على أحد المقاعد العامة الموضوعة لصق السور .

- سأل "باربيه" :

- ماذا بك ؟ ..

- إنها هنا .

- اللؤلؤة السوداء هنا ؟ ماذا تقول ؟ ..

- القول إن اللؤلؤة هنا ... أمامنا ..

- أمامنا ؟ ... اصغ إلي يا "داينجر" .. إذا كنت ترمي إلى الهزء بي

الشهيرة التي يربو ثمنها على نصف مليون فرنك تبقى في الأوحال
عدة أسابيع تحت تصرف أول من يقع عليها بصره - سال :
- هل أحدثت لها ثقباً عميقاً ...
- إنني خبأتها على عمق عشرة سنتيمترات أو ما يقرب من ذلك -
فراح " باربيه" يعمل نصل السكين في الشق بين قطعتي الحجر ..
إلى أن ارتطم النصل بشيء .. فجعل يعمل بأصبعه على توسيع
الثقب .. حتى لاحت له اللؤلؤة ..
- قال وهو يضعها في جيبه :
- خذ إليك الغبن من الفرنكات .. وسابعث إليك غدا صباحاً بتذكرة
السفر إلى أمريكا -
- وبعد يومين .. بينما كان " جان باربيه" المحامي يرتب أوراقه على
مكتبه وعلى وجهه علامات البشر والارتياح ..
إذا بباب المكتب يفتح ... وإذا القادم مفتش البوليس " جانيمار" وكان
" جانيمار" منتفخ الأوداج غضبا وحنقا فبارره " باربيه" بقوله :
- أهلا بالعزيز " جانيمار" ... ماذا بك يا رجل ؟ ... هل سرقت
سندائك مرة أخرى ..
لم يجيب " جانيمار" بل أخرج من جيبه نسخة من إحدى الصحف
والقى بها أمام " باربيه" . وقال وهو يضع أصبعه على مكان معين
بالجريدة :
- خذ واقرأ -
- فتناول " باربيه" الجريدة وقرأ بها النبا التالي :
- كان بين ركاب الباخرة " اتلانتيك" التي أبحرت أمس إلى أمريكا
مسيو " فكتور داينجر" الذي اتهم بقتل الكونتس " دانديلو" وأطلق
سراحه مؤخرا ..
- واية غرابة في هذا ؟ ..
- هذا الرجل هو قاتل الكونتس .
- هذا صحيح ...

- قلت لك إنها هنا ... أمامنا ...
- أين ؟ ..
- بين قطعتين من قطع الحجر التي يتالف منها إفريز الشارع - اية
قطعة ؟ ..
- ابحث ..
- هل تريد أن تضعني أمام معضلة؟ .. هل تريد أن تمتحن ذكائي
- لا .. ولكنني أخشى أن أموت كمدا إذا أنا أعطيتك اللؤلؤة بيدي ..
- اه ..
- من الغبن أن تتركني أموت جوعاً ..
- حسناً ... إنني سأعاطلك بمنتهى الكرم والسخاء ..
فكم تطلب ...
- اطلب نفقات رحيلي إلى أمريكا -
- اتفقنا -
- واطلب كذلك مبلغ ألف فرنك ! ...
- سأعطيك الغبن من الفرنكات! ... تكلم إذن !
- إنها بين القطعة السابعة والقطعة الثامنة ... احص قطع الحجر
من هنا ...
- نعم ..
- فأحصى " باربيه" قطع الحجر التي يتكون منها الإفريز .
ثم وقف عند القطعة السابعة ... وأجال الطرف حوله ...
ولم ير أثراً لـ " جانيمار" أو أحد رجاله ... فأخرج من جيبه سكيناً
وقال محدثاً " داينجر" :
- وإذا لم أجدها ...
- إن لم يكن أحدهم قد راني وأنا أبحثها ... فإنها لا تزال في
موضعها بغير شك .
فهز " باربيه" رأسه ...
من ذا الذي يصدق ذلك ؟ من ذا الذي يتصور أن اللؤلؤة السوداء

- و " ارسير لوبين " شريكه

- وهذا صحيح ايضا

- وقد استولى " ارسين لوبين " على الماسة السوداء .

- لا شك في ذلك

- وساعد هذا الشقي على الفرار إلى امريكا ليامن شره .

- إنك تحسد على هذا الذكاء يا " جانيمار " .

- كيف إذن دافعت عن هذا الشقي ... وانكرت اشتراك " لوبين " في الجريمة ...

- لأنني لم اعرف الحقيقة إلا اليوم .

- وكيف عرفتها ؟

- جاءتني رسالة من " لوبين " يوضح فيها ما غمض من اسرار الجريمة .

- وابن هذه الرسالة ؟

- فابتسم " باربيه " في خبث واجاب :

- هذا سر المهنة .

- وماذا قال " لوبين " في رسالته ...

- إنه اطرى نكاك ومهارتك وبعد نظرك .

- ثم ؟ ...

- ثم اوضح ما خفي عليك من امر مقتل الكونتس .

- وإن فقد كان شريكا للقاتل كما توقعت ...

- إنه لم يكن شريكا بالمعنى الذي تفهمه ... وإنما كان من المصادفات العجيبة أنه استطاع بطريقة ما أن يستولي على رسالة الكونتس إلى قريبتها ووريثتها ... وهي الرسالة التي اوضحت فيها الكونتس كيف تخبى لؤلؤتها الثمينة ... فلما ذهب إلى بيت الكونتس للتحقق من مضمون الرسالة ... وجد المرأة المسكينة غارقة في بحيرة من الدماء .

- إذن فهو الذي زار البيت في الساعة الثالثة صباحا بدعوى مقابلة الدكتور " هاريل " .

- بالضبط ... فلما اكتشف الجريمة وتأكد من أن اللؤلؤة سرقت .

- اخذ يفكر ... وهداه تفكيره إلى معرفة الحقيقة .

- وهي ؟ ...

- وهي أن مرتكب الجريمة لابد أن يكون خادم الكونتس .

- وأين ذهبت إذن ادلة الجريمة ؟ ...

- لقد قال لي في رسالته إنه اكتشف جميع الأدلة المادية التي تركها

المجرم في فزعه ... فاستولى عليها جميعا ... واحتفظ بها لنفسه ...

ولم يبق منها غير الزر .

- وماذا كان غرضه ؟ ...

- كان غرضه أن يتهم " داينجر " فيقبض عليه . ثم تبدوا الأدلة غير

كافية فيفرج عنه . وعندئذ يستطيع مقابلته وتهديده بالأدلة المادية التي عنده . ويسلبه غنيمته .

- فنظرت " جانيمار " إلى المحامي بارتياح . وغمغم :

- اه ...

- ولا شك أن " داينجر " كان من السذاجة بحيث وقع في هذا الفخ .

- كان من السذاجة ؟ ...

- بالتأكيد ... لأن " لوبين " لم يكن في استطاعته أن يخرج تهديده من

حيز القول إلى حيز الفعل .

- لماذا ؟

- فاجاب " باربيه " وهو يبتسم :

- لسبب هين يدركه كل مشتغل بالقانون .. وهو أن القانون لا يجيز

محاكمة الشخص مرتين لجريمة واحدة ... وقد حوكم " داينجر " وبراءته

المحكمة ... فكان من المستحيل قانونا إذن أن يحاكم للمرة الثانية .

المحكوم عليه

جلس الشاب أمام إحدى الموائد في مطعم "الإمبيريال" ... وراح يتناول طعامه ببطء .. ويجول ببصره بين أعمدة إحدى الصحف .
لابد أن نبا في الجريدة لغت نظر الشاب وأثار اهتمامه وفرزه .. لأن يده وفتت فجأة في منتصف الطريق إلى فمه .. ثم القى بالجريدة بغثة . ونهض واقفا . واستدعى خادم المطعم بصوت يدل على الفزع . وهتف به :

- كم الحساب؟ ... أسرع ...

ولفتت هذه الحركة نظر رجل آخر كان يتناول الطعام على المائدة المجاورة ... فنهض من مكانه بدوره وتناول الجريدة التي تركها الشاب على المائدة ... وأجال الطرف بين أنبائها . ولغت نظره النبا التالي :

- علمنا والجريدة ماثلة للطبع أن المحامي "جوردان" الذي تولى الدفاع عن "جاك" أوبريو قد تشرف اليوم بمقابلة رئيس الجمهورية . والمفهوم أن الرئيس رفض العفو عن المحكوم عليه ... وأن الإعدام سينفذ في المتهم غدا صباحا .

- قال الرجل وهو يرد الجريدة إلى موضعها :

- لاشك أن هذا النبا هو الذي أزعج الشاب .

فنقد الخادم ورقة مالية ... وأسرع في أثر الشاب .

اقترب الرجل من الشاب ، وقال له :

- عفوا يا سيدي ... قد لاحظت أنك غادرت المطعم في حالة انزعاج وفرزع ... وكان نبا إعدام "جاك" أوبريو هو سبب فرزعك واضطرابك ... اليس كذلك ؟

- بلى ... بلى ... إن "جاك" أوبريو صديقي منذ الصغر .

وقد أزعجني نبا إعدامه ، وأريد الآن مقابلة زوجته للترفيه عنها .

لاشك أن المسكينة ستجن حزنا وفرزا .

- هل تستطيع مساعدتك بشيء؟ أنا "جان باربيه" المحامي .

فغمغم وهو يقدم نفسه إلى محدثه :

- أنا ادعى "دوتري" "جاستون دوتري" .

فقال "باربيه" :

- أنا لا أعلم الكثير عن "جاك" أوبريو وجريمته ولكني سمعت لغطا بشأن أدلة الإدانة والأوراق المالية المسروقة واعتقد أنني أستطيع مساعدته إذا عرفت حقيقة قصته . إلا أستطيع أن أعرف المزيد من أمر الجريمة التي ارتكبتها "أوبريو" ؟ ... كل ما أعلمه أنه قتل أحد أقربائه . اليس كذلك ؟

فذكر الشاب لسائق السيارة عنوان مدام "أوبريو" ثم تحول إلى

باربيه وقال :

- إنه بريء يا سيدي . أقسم لك على أنه بريء .

إن "جاك" صديقي منذ عشرين سنة ... وأنا واثق بأنه بريء ... هذا

مخيف .. نعم هذا مخيف .

على أن رحلة السيارة لم تكن طويلة .. فوصلت إلى "نويلي" ودلفت إلى شارع ضيق .. ووقفت أمام منزل يتكون من طابق واحد وهناك وثب "دوتري" من السيارة كمن به مس ، وراح يقرع الباب بشدة فللحت الباب إحدى الخادمت . وقالت للطارق :

- إن سيدتي مع أمها في قاعة الاستقبال .

فاجاب الشاب بحدة :

- أريد أن أراها في الحال .

ودخل وتبعه "باربيه" ، فذهبت بهما الخادمة إلى غرفة فسيحة مألوفة بذوق سليم ، وهناك رأى الرجلان سيدتين لا تزال الدموع تبلل أهدابهما .

فكانت إحداهما متقدمة في السن وقد وخط الشيب شعرها . فقدمت لاستقبال "دوتري" ، وقدم إليها "دوتري" زميله . فقالت

السيدة على الفور موجهة كلامها إلى المحامي :

- أؤكد لك يا سيدي أن زوج ابنتي بريء . إنه من أشرف الرجال وأطيبهم قلبا . ومن المستحيل أن يكون قد قتل ابن عمه كما يزعمون . إذا قتلوه كان ذلك ضربة قاضية على ابنتي التعسة . اقترب من الزوجة . ولم تكن قد تحركت من موضعها .

كانت لا تزال في مقتبل العمر وعلى جانب كبير من الفتنة والجمال . بيد أن الحزن ترك أثره العميق على وجهها القاتن .

قال لها بصوت هادئ حزين :

- يا سيدتي . إن قضية زوجك قد أثارت فضولي . وحزنك العميق قد أثار شفقتي . ولست أعلم ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك .. ولكن إذا كان في العالم شخص يستطيع أن يفعل شيئا مفيدا فإنني ذلك الشخص ..

لذلك أرجو أن تجيبي عن أسئلتى بوضوح وجلاء . وأن تعتقدي بأن الصراحة قد تغير الموقف تغييرا جوهريا .

إنك أولا تؤمنين ببراءة زوجك . اليس كذلك ؟ ..

فاجابت على الفور . وبلهجة الثقة واليقين :

- بلى يا سيدي .

- إنك لم تستطعي إقناع المحقق ببراءة زوجك . فهل في مقدورك أن تقنعيني ؟ .. هل في استطاعتك أن تبسطي لي الأسباب التي تحملني

على الاعتقاد ببراءة زوجك ؟ ..

إنني لا أطالبك بسرد الحادث بالتفصيل .. فذلك من شأنه أن يزيدك . ويديمي جراح قلبك . كل ما أطلبك به هو أن تجيبي عن طائفة من

الأسئلة .

- سل ما شئت يا سيدي .

سألتها بعد أن طلب إلى والدتها أن تلزم الصمت :

-ماذا كانت مهنة زوجك يا سيدتي ؟ ..

- كان يشتغل مندوبا لإحدى شركات التأمين .

- هل كان موفقا في عمله ؟ ..

- نعم . حتى العام الماضي .

- وإن . فقد ساءت أحواله المالية في المدة الأخيرة ..

- نعم ..

- ومتى ارتكبت الجريمة ؟ ..

- في مارس الماضي .. في يوم أحد .

- والضحية ؟ ..

- هو ابن عم زوجي ويدعى "جيران" ويقطن في (سورسن) .

- والمبلغ الذي سرق ؟ ..

- ستون ورقة مالية ذات ألف فرنك .. كان مسيو "جيران" قد قبضها

من دين قديم له .

- هل كان زوجك يعلم بأمر هذا المبلغ ؟ ..

- نعم .. فقد اتصل به "جيران" تليفونيا في يوم الأحد . وأنبأه به .

فأح عليه زوجي بالا يحتفظ معه بمثل هذا المبلغ الباهظ ونصح له بأن

يودعه أحد البنوك في اليوم التالي .

- كان هذا الحديث التليفوني في صباح يوم الأحد ؟ ..

- بل في الساعة الواحدة بعد الظهر .. وكان زوجي قد وعد "جيران"

بأن يذهب إليه في بيته بالموتوسيكل الذي يستخدمه في تنقلاته .

ولكنه كان متعبا .. فاتصل بابن عمه .. واعتذر له عن الحضور .

ولم يبق بقية النهار هنا .

- وحده ..

- نعم وحده .. وكنا قد رخصنا للخادمتين بإجازة في ذلك اليوم . أما

أنا فقد ذهبت إلى دار للسينما في (تيرن) برفقة والدتي .. وصديقنا

توري .

وفي المساء .. علمنا بمقتل "جيران" .. وفي اليوم التالي القي القبض

على زوجي .

- وماذا كانت أدلة الاتهام ؟ ..

فترددت الزوجة التعسة .. وأترك 'باربيه' من ترديها أن الأدلة لابد أن تكون قوية دامغة .

أعاد عليها السؤال فاجابت :

- ثبت أن القاتل ذهب الى (سورسن) بموتوسيكل .. دلت الأثار على أنه موتوسيكل زوجي .. وقد عثروا كذلك على منديل في أحد أركانه الحروف الأولى من اسم زوجي ..

ووجدوا أن المسدس الذي ارتكبت به الجريمة مسدس زوجي .

كذلك زعم أحد جيراننا أنه رأى زوجي في الساعة الثالثة وهو ينطلق من المنزل بالموتوسيكل . وزعم آخر أنه رأى زوجي عندما عاد إلى المنزل في منتصف الساعة الخامسة .

وقد قرر الطبيب الشرعي أن القتل حدث في الساعة الرابعة . فالأدلة كما ترى قوية . ولكني والثقة بأن زوجي بريء .

- وبماذا دافع زوجك عن نفسه ؟

- أكد أنه قضى ليلة بعد الظهر نائما في فراشه . ولا شك أن أحدهم استطاع في خلال ذلك أن يستولي على الموتوسيكل وينطلق به إلى 'سورسن' أما المنديل و المسدس فكانا في حقيبة صغيرة ملحقة بالموتوسيكل ... فلا غرابة إذا كان القاتل الشقي قد استعان بهما في جريمته، واستخدمهما في إبعاد الشبهة عن نفسه . وإصاقتها بزوجي

- هذا تفسير معقول ومقبول .

- نعم . ولكن المحقق لم يقتنع به لسببين . أولهما أن أحدا لم يستطع إثبات وجود زوجي في المنزل وهو الذي اعتاد الخروج بالموتوسيكل بعد ظهر أيام الأحد .

- والسبب الثاني ؟

- والسبب الثاني : هو أن القاتل أزدرد نصف محتويات زجاجة شراب عثر بها في مكتب 'جيرار' وقد وجدت على الزجاجة بصمات أصابع زوجي .

ولزمت الصمت وقالت أمها :

- إنه بريء . اليس كذلك ؟ ... ليس في استطاعتهم أن يعدموا رجلا بريئا .. ليس من حقهم .. ليس من حقهم أن يقتلوا ابنتي بقتل زوجها . أواد! يا إلهي ... ماذا فعلنا لكي يضطهدونا هكذا؟ .. مسكينة أنت يا بنتي .

فغمغم 'دوتري' :

- إنها سوف تقتل نفسها حزنا .. نعم، إن المسكينة لن تتصور أن زوجها سيعدم غدا ! أنا واثق أنها ستقتل نفسها قبل أن يعدم زوجها .

- سألته 'دوتري' :

- إنك لا تستطيع أن تفعل شيئا من أجلهم . اليس كذلك ؟

- نحن الآن في منتصف الساعة الثانية عشرة ...

ولمدا صباحا ..

- هل تعتقد أنه مجرم ؟

- لا أعلم ... لا أعلم ... بيد أن زوجته تؤمن ببراءته ... وإيمانها هذا له قيمته . ولا يجوز إنغاله .

إن الزوجين المتحايين قل أن يخطئ شعور أحدهما نحو الآخر ... ومع ذلك

وجلس على أحد المقاعد .. وأشعل لغافة تبغ ... وراح يدخن في سكون .

وأخيرا ... نهض 'باربيه' واقفا وامسك بيدي الزوجة الشابة وقال لها في لطف :

- يجب ألا تقطعي الأمل .. ويجب ألا تقتلي نفسك حزنا وأسى ... وأعدك من ناحيتي بالأا أقنط حتى آخر لحظة .. ولكني بحاجة إلى رباطة

جاشك وثقتك .

- ساكون رابطة الجاش يا سيدي .

- وثقي بي .

- إنني أثق بك يا سيدي .

- حسنا ... اصغى إلي يا سيدتي ... إنني سأنصرف الآن .. ولكني
ساعود إليك بعد ساعتين بالخبر اليقين ..
فهل تعدينتني بأن تلوذني بالصبر حتى أعود ..
- أعدك بذلك .
- حسنا ... هل تأتي معي يا مسيو 'دوتري' ؟
وعندما انصرف الرجلان ... التفت 'باربيه' إلى الشاب وساله
- هل تعرف مطعما صغيرا هادئا! ...
- أعرف مطعم 'لوتيسيا' في ميدان 'تيرن' وهو كائن بأسفل المنزل
الذي أقيم فيه .
- حسنا ... إن هذا المطعم يلائم غرضنا أكثر من سواه .
وساد الصمت بين الرجلين بعض الوقت ثم التفت 'باربيه' إلى
دوتري وقال له :
- يخيل إلي أنني قرأت في الصحف أنهم عرفوا أرقام الأوراق
المالية التي سرقت من القتل وكانت سببا في قتله ... اليس كذلك؟ ..
- بلى ! لأن القتل كان قد سجل هذه الأرقام في دفتر صغير معه .
- هنا المشكلة ! .. أين ذهبت الأوراق المالية ؟ ... إذا عرفنا جواب
هذا السؤال ... قطعنا الشك باليقين في أمر المجرم .
ولما بلغنا إلى مطعم 'لوتيسيا' . انتحيا هناك ناحية خاصة . حيث
وجدنا هناك جهازا للتليفون .
تناول السماعه وهتف :
- الو .. أريد الاتصال بإدارة البوليس ... إدارة البوليس .. هل
المفتش 'جانيمار' موجود؟ .. نعم ... أريد التحدث إليه . إنه يعرفني
حق المعرفة وقد اشتركنا معا في العمل مرارا .
ثم التفت إلى 'دوتري' وقال :
- لا مانع لديك بالتأكيد من أن ادعو أحد مفتشي البوليس للتعاون
معنا ..
- كلا .. بالتأكيد ... يجب أن نبذل قصارى جهدنا لإنقاذ 'أوبريو' .

- الو ... الو . 'جانيمار' ! هل عرفت صوتي ؟ يا لك من رجل ذكي!
اصغ إلي يا 'جانيمار' . بين يدي قضية خطيرة سوف يكتب لك فيها
المجد . اصغ . اصغ . لاتقطع علي الحديث . إن في استطاعتي أن أرشدك
إلى الحلقة المفقودة في قضية 'جاك أو بريو' .
نعم . إنني أعرف مكان الأوراق المالية التي سرقتها 'أوبريو' من ابن
عمه بعد أن قتله ...
فإذا كان يهتم أن تضع يدك على هذه الأوراق فاحضر في الحال
لمقابلتي بمطعم لوتيسيا في 'تيرن' .
إنني هنا في انتظارك مع مسيو 'دوتري' صديق 'أوبريو' .
ووضع 'باربيه' السماعه . ونظر إلى 'دوتري' . فرأى على وجهه
علامات الدهشة الشديدة
- سألته هذا الأخير :
- هل اكتشفت مكان الأوراق المالية بهذه السرعة ؟ ... كيف استطعت
أن ؟
- إنني لم أكتشف شيئا على الإطلاق .
- إذن ؟ ..
- بيد أنني أبدا عملي دائما كما لو كنت أعرف كل شيء ... وهي
خطة تؤدي في غالب الأحيان إلى النتيجة المطلوبة .
ثم استطرده بعد لحظة :
- سيكون 'جانيمار' هنا بعد عشرين دقيقة على الأكثر .
- وإذا لم يحضر .
- يكون ذلك مبعثا للدهشة و العجب .
ثم ابتسم واستطرده :
- ولكنني واثق بأنه سيحضر . ولو أنني قلت لـ 'جانيمار' إن 'أوبريو'
بريء فاحضر لأقدم إليك الدليل على براءته . إذن لضرب بكلامي عرض
الافتق . لأنه من المستحيل أن يصغي إليك رجال البوليس والعدالة مهما
أكدت لهم أن المحكوم عليه الذي سينفذ فيه الحكم غدا بريء .

كلا ... إن جاك أوبريو هو الآن ملك للجلاد . ولن ينقذه من الإعدام إلا معجزة من المعجزات .

على أنك إذا قلت لرجال البوليس إنك وقفت على الحلقة المفقودة في قضية متهم حكم عليه بالإعدام . فإنهم لا يترددون في الإصغاء إليك ! لأنك ستقدم إليهم دليلا يزيد مركز المتهم إحراجا . ويزداد اهتمامهم بالتاكيد . متى كانت هذه الحلقة المفقودة هي الركن الضعيف في التحقيق .

- ولكن ما دمت لا تعلم على وجه التحقيق فإن ..

- اصغ إلي يا صديقي . إذا استعصى على الإنسان في تحقيق الجرائم أن يعرف حل هذا اللغز أو ذاك . فإن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الموقف . هي أن يفترض أحد الفروض . ويبني جميع النتائج على هذا الافتراض .

- وهل تفتق ذهنك عن نوع من أنواع الفروض ؟

- بالتأكيد .. إنني افترضت فرضا . ولو كان لدي متسع من الوقت لبذلت قصارى جهدي للتحقق من صحة هذا الفرض . ولكني للأسف لا أجد أمامي غير مهلة ساعتين .

ولذلك قررت أن أمضي في طريقي على أساس صحة افتراضي . وإذا كنت مخطئا ؟ ..

- ليس لي أن أختار . فالوقت ضيق . وليس لدي متسع للتحقق من صحة افتراضي الذي اعتقد مع ذلك أنه أقرب الفروض إلى الحقيقة . وفي هذه اللحظة . فتح باب المطعم .. وبخل جانيمار .

- نظر جانيمار إلى باربيه شزرا وجلس دون أن يحييه فابتسم باربيه وقال :

- دعني أتدارك ما غاب عنك من تقاليد اللياقة أيها العزيز جانيمار فاقدم إليك هذا الصديق . مسيو جاستون دوتري ..

فحنى جانيمار رأسه للشباب .

واستطرد باربيه ..

- أنت تعلم بالتأكيد لماذا دعوتك .

- ألم تدعني من أجل الأوراق المالية التي سرقت من مسيو جيرار ؟ .. ها هي ذي أرقامها .

وأخرج من جيبه ورقة فتناولها باربيه .. وألقى عليها نظرة سريعة . ثم قال :

- حسنا فعلت بإحضار هذه القائمة ... والآن ... اصغ إلي يا عزيزي جانيمار ؟ ... إنني قمت في قضية مقتل مسيو جيرار بتحقيق دقيق ... انتهى إلى نتيجة مهمة .

- هي ؟ ..

- هي أن القاتل بعد أن ارتكب جريمته .. وضع الموتوسيكل في بيت المتهم الذي حكم عليه فيما بعد بالإعدام . ثم جاء إلى هنا مسرعا .. وبخل هذا البيت .

- هذا البيت ...

- نعم ... هذا البيت الذي يقع المطعم في أسفله .

- ولكن ماذا يصنع هنا ؟ ..

- جاء لإخفاء غنيمته ... لإخفاء الأوراق المالية .

- كيف ... وأين أخفاها ؟ ..

- أخفاها في شقة بالطابق الخامس ... كان معه مفتاحها فصاح دوتري في دهشة :

- ولكن لا توجد في الطابق الخامس سوى شقة واحدة ... وأنا الذي القيم في تلك الشقة .

- هذا ما أعلمه . ولكن لما كنت أنت قد ذهبت إلى دار السينما برفقة مدام أوبريو وأما ... فقد انتهب القاتل الفرصة ودخل الشقة وأخفى بها الأوراق المالية .

- مستحيل ... إنني احتفظ دائما بالمفتاح معي .

- إنه في الاستطاعة الدخول بلا مفتاح .

- ولكني لم أجد أي أثر .

فقال "جانيمار" :

- في استطاعتنا ان نتفاهم في هدوء ... فقال " جانيمار" انت تقول يا " باربيه" ان الأوراق المالية المسروقة قد اخفيت في شقة مسيو " دوتري" .

- نعم ..

- إذا صح هذا ... وجب ان تكون الأوراق لا تزال في مخبئها لان " جاك اوبريو" قد القي القبض عليه في صباح اليوم التالي للجريمة ... فلم يجد فسحة من الوقت لاسترداد الغنيمة .

- هذا رايب

وهنا لم يتمالك "جاستون دوتري" من ان يضحك قال في تهكم :

- هذا محريب حقا ! ... إذ لو صح لكنت وقعت على الأوراق المالية في شقتي ...

- فسأله " باربيه" :

- هل بحثت عنها في شقتك ؟ ...

- لا .. ولكن كان في استطاعتي ان اعثر عليها في اي وقت ... لان الشقة ضيقة ... ويستطيع الإنسان بنظرة واحدة ان يحيط بكل محتوياتها . هل تريد ان تراها ؟ ...

- فقال " باربيه" :

- مهما كانت مساحة الشقة ... فإن في الإمكان إخفاء ستين ورقة مالية في احد أركانها .

- ذلك ممكن بالتأكيد .. ذلك ممكن ... ومع هذا فإنني أؤكد لك مرة أخرى ان أحدا لم يدخل شقتي في اثناء غيابي ... وانه لا يوجد للشقة سوى مفتاح واحد ... وإنني أقوم بترتيب بيتي بنفسي ... وإنني لا أستطيع ان افهم تماما كيف ؟ ...

ولم يتم الفتى كلامه .

ذلك لانه رأى الحيرة كذلك مرتسمة على وجه " جانيمار" .

كان مفتش البوليس قد أدرك الموقف على حقيقته ... ولكنه لم يستطع بدوره ان يفهم الغرض الذي يرمي إليه " باربيه" .

بيد انه قال :

- مادام " باربيه" يزعم ان الأوراق المالية اخفيت في شقتك . فإن أبسط وسيلة للتحقق من صحة هذا الزعم او خطئه هي ان نفتش الشقة ... اليس كذلك ؟ ..

- بلى .. بلى ... هذه حقا أبسط وسيلة . هلم بنا .

وصعد ثلاثتهم السلم حتى الطابق الخامس . وهناك فتح "دوتري" باب الشقة بمفتاح معه .

وبدا " باربيه" و " جانيمار" يفتشان الشقة . وكان الاول كلما حرك شيئا من موضعه احتج الشاب . وأسرع إلى الشيء فأعاده إلى مكانه ...

وأخيرا برم بعث " باربيه" بامتعته واثائه . فقصد إلى النافذة وفتحها واطل منها . كانه لا يطيق ان يرى مثل ذلك العبث بأشياءه التي يحلها من نفسه محلا مقدسا .

- هل انت واثق ؟ ..

- نعم . نعم . انا واثق كل الوثوق بان الأوراق المالية قد جيء بها إلى هنا بعد الجريمة .

- لنبحث إذن ... ولكن ...

ونظر إلى " باربيه" نظرة خاصة ... فابتسم هذا وقال :

- كن مطمئنا ... المسألة في هذه القضية مسألة حياة او موت .

فلم يفهم " جانيمار" غرضه ولكنه استأنف التفتيش . ولم يطل بهما الامر لان الشقة كانت صغيرة . وقد فرغا من تفتيشها تفتيشا دقيقا في اقل من نصف الساعة وأخيرا قال " جانيمار" :

- لا يوجد شيء ... فهل نعيد تفتيش الشقة ؟

فاجاب " باربيه" :

- لا ! إن الأوراق المالية ليست هنا الآن .

- ماذا تعني ؟ ...

- اعني نقلت من هنا .

- ومن الذي نقلها ؟ ... ارجو ان تحدد الاتهام .

فلم يجب "باربيه" ... ونظر إليه "دوتري" شزرا ثم قال بحدة :

- اصغ إلى يا سيدي المفتش . ساوفر على هذا السيد "ويينة" تحديد

الاتهام .

- لقد ادركت من كلام مسيو "باربيه" واعماله ان هنا رجلا غير

شريف . وان الأوراق المالية التي اخفاها القاتل هنا قد اكتشفها هذا

الرجل غير الشريف واستولى عليها ونقلها إلى مكان آخر

اليس هذا ما تبادل إلى ذهنك ياسيدي ؟ الست تعتقد انني سارق

الأوراق المالية ...

وتقدم من "باربيه" خطوة اخرى ... وصاح ... وهو يديق صدره

بشدة :

- انا ؟ .. انا وجدت الأوراق المالية واحتفظت بها لنفسي؟ اتجسر

على ان تتهمني بهذا ؟

فلم يجب "باربيه"

وامسك الشاب بساعد "جانيمار" وراح يصيح :

- اصغ إلي يا سيدي المفتش : انني احتج بشدة على هذه المهزلة

واحتج على إقحامك في هذه القضية .

لقد صرح لي هذا السيد قبل قدومك بأنه لا يعلم شيئا على وجه

التحقيق . وأنه سيحاول ان يخبط خبط عشواء . ويفترض اول فرض

يتفتق عنه ذهنه . ويترك الامر بعد ذلك للظروف . اليس كذلك يا

سيدي؟ ..

- فلم يخرج "باربيه" عن صمته .

استطرد الفتى :

- تكلم يا سيدي . تكلم . إنك تزعم المزاعم ولا تتقدم بأي دليل .

إن من السهل ان تتهمني بسرقة الأوراق المالية ...

ولكن يجب عليك قبل ان توجه إلي هذه التهمة . ان تثبت انها هنا ..

او انها كانت هنا .. وان تقول لنا من ذا الذي جاء بها؟ .. ولماذا اختار

القاتل شقتي دون أي مكان آخر لإخفاء غنيمته ؟ ..

وهنا ظهرت على وجه "جانيمار" علامات الضجر والقلق .

ونظر إلى "باربيه" متسائلا . فقال هذا :

- ما دمت تريد قولاً صريحا مؤيدا بالادلة والبراهين .. فإنني اترك

لدمام "أوبريو" .. زوجة المحكوم عليه بالإعدام .. ان تقدم لنا الادلة

المطلوبة ..

إن في بيتها جهازا للتليفون . اليس كذلك .. هلما بنا إذن إلى

المطعم . سنقطع الشك باليقين بعد دقيقة واحدة .

- على رسلك . ولكني واثق بانك تضييع وقتك هباء

- هلما بنا ..

- انت تريد التعجيل بانصرافنا من شقتك ..

- بل اريد التعجيل بتكذيب مزاعمك وإظهار الحقيقة .

وهبطوا السلم . ودخلوا المطعم . فوجدوه خلوا من الزبائن . وبحث

"باربيه" في دفتر التليفون عن رقم دمام "أوبريو" وتناول السماعه ...

اجابته الخادمة بان دمام "أوبريو" قد اصابتها نوبة عصبية . وأغمى

عليها . وأنها الآن طريحة الفراش ... فقال لها :

- إذن دعيني اتحدث إلى والدتها . انا "جان باربيه" المحامي . وكان

جهاز التليفون في المطعم ذا سماعتين . فقدم السماعه الثانية إلى

"جانيمار" .. وقال له :

- اصغ إلى حديثنا جيدا .. ولا تنطق بكلمة .

ثم هتف في جهاز التليفون :

- اهذه أنت يا سيدتي ؟ ..

- نعم .. هل انت مسيو "باربيه" ؟ ..

ثم استطردت على الفور بلهجة الصراخ :

- هل من جديد يا سيدي .. هل يوجد ثمة أمل ؟ تكلم بالله يا سيدي
- إن التحقيق الذي أقوم به يتقدم تقدما محسوسا . فلا تياسى . لقد اتصلت بك الآن للوقوف منك على بعض معلومات على جانب عظيم من الخطورة والأهمية . وارجو ان تجيبني عن أسئلتني بدقة وصراحة .
- هل جاء مسيو "جاستون دوتري" إلى بيتكم في يوم ارتكاب الجريمة؟
- نعم .. جاء بعد ان تناولنا طعام الغداء .
- وهل علم وقتئذ بان مسيو "جيرار" قد قبض مبلغ الستين الف فرنك ؟
- نعم . إنني أنبأته بذلك بنفسي .
- وهل علم وقتئذ كذلك بان "جاك اوبريو" متعب وليس في ثيابه ان يتنزّه بالموتوسيكل كالعادة ؟ .. وانه سيقضي بقية النهار في فراشه؟
- نعم
- هل أنت واثقة بذلك يا سيدي ؟ ..
- كل الوثوق .
- وهل ذهب ثلاثكم أنت وابنتك ومسيو "دوتري" إلى دار للسينما بعد ذلك ؟
- نعم .
- وهل جلستم معا في صالة السينما ..
- اه .. لا .. لم نجد مقاعد خالية .. فجلس مسيو "دوتري" على مبعدة منا .
- وهل كان جلوسه في مكان تستطيعان ان ترياه فيه ؟ ..
- لا .
- وهل رايتماه في أثناء الاستراحة بين عرض الافلام ؟ ..
- لا . لم نره بعد ذلك إلا عند الانصراف .

- اليس عندك أي شك في هذه النقطة ؟ ..

- نعم ليس عندي شك .

- شكرا لك يا سيدي . سأحضر إليك بعد ساعة لانهي إليك نتيجة عملي . إنما أرجوك الا توقظي مدام "اوبريو" .
- وإذا استيقظت ؟ ..
- وإذا استيقظت فطمئنيها . إن كل شيء يسير من حسن إلى احسن . وإن نجاحنا اعظم بكثير مما كنت اتصور .
- ثم وضع الساعاة .. وتحول إلى "دوتري" . وقال له وهو يضحك :
ما رايك الآن أيها الشاب .. لقد تغير الموقف تغيرا محسوسا .
- فنظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة . لم يفهم النتيجة التي خرج بها من هذا الحديث التليفوني .
- ساد صمت عميق ..
- واخيرا التفت "باربيه" إلى "جانيمار" وقال له :
- ارجو ان تأمر صاحب المطعم بإغلاق الباب .. وبالا يدع احدا يزعمنا مهما كانت الظروف .
- فصدح "جانيمار" .. ولما عاد وجد "باربيه" يسير في المكان جيئة ونهايا .
- واخيرا وقف امام "دوتري" وقال بلهجة تنم عن السخرية :
- صفوة القول يا سيدي العزيز ان مدام "اوبريو" ووالدتها لم ترياك في المدة بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد الذي ارتكبت فيه الجريمة هذه في الواقع حقيقة عجيبة .
- فاجاب "دوتري" :
- بل إنها طبيعية للغاية .. ولا تثبت شيئا .
- بل تثبت أنك استمتعت بحريتك ساعتين كاملتين .
- بالتأكيد . وقد قضيت هاتين الساعتين في السينما .
- او في مكان آخر ..
- فنظر إليه "دوتري" بحدة ثم استطرده قائلا :

- نعم . لأنك كنت حرا كما قلت لك ... وكان في استطاعتك ان تذهب
للنزهة في اي مكان في " سورسن " مثلا .
فاجاب الشاب بلهجة الدعابة :
- اه .. " سورسن " ... ولكن " سورسن " بعيدة .
- بل إنها قريبة جدا .. الم يكن معك موتوسيكل صديقك " جاك " او
بريو .
وساد الصمت مرة أخرى ، ورأى " جانيمار " اهداب الفتى تتحرك
بسرعة ، وكأنه يحاول ان يفهم ، واخيرا هتف الشاب بصوت اجش :
- اه .. قهمت ماذا تعني يا لك من تعس !
فالقى " بارييه " بيده على كتف " دوتري " وقال :
- كفى ثرثرة ، لقد كنت يا " دوتري " الشخص الوحيد الذي عرف في
ذلك اليوم امرين مهمين ، اولهما ان مسيو " جيرار " يملك في بيته
ستين الفا من الفرنكات . وثانيهما ان " اوبريو " قد عدل عن الخروج
بالموتوسيكل كما اعتاد ان يخرج .
- عرفت إذن هاتين الحقيقتين ، ووضعت خطتك في الحال وكان
الموتوسيكل في متناول يدك . فتسللت من دار السينما في اثناء عرض
الافلام . وانطلقت إلى " سورسن " وقتلت مسيو " جيرار " واستوليت
على الاوراق وجئت بها إلى شقتك .
وفي الساعة الخامسة . لحقت بالسيدتين في دار السينما .
وقد اصغى " دوتري " إلى كلام غريمه بمزيج من الدهشة والفرح
وراح ينظر إلى " جانيمار " بين الغينة والغينة كأنه يستشهد به
فهتف :
- هذا الرجل مجنون يا سيدي المفتش . انت تضيع وقتك في
الإصغاء إلى هذيانه .
ثم استغرق في الضحك وقال :
- ما اعجب هذا .. إذن فاننا الذي راه الجيران يروح ويغدو
بالموتوسيكل ..

- نعم انت .. لأنك كنت متتكرا في ثياب " اوبريو " .
- وانا الذي وجدت بصمات اصابعه على زجاجة النبيذ في مكتب
مسيو " جيرار " ..
فقال " بارييه " :
- لقد كانت زجاجة النبيذ على مائدة " اوبريو " في بيته .. وكان قد
تناول بعض محتوياتها في اثناء الغداء . فحملتها انت معك إلى بيت
" جيرار " لتكون دليلا جديدا ضد " اوبريو " البريء .
فنظر " دوتري " إلى وجه محدثه كمن يلتذ بسماع قصة مسلية وقال :
- انت تنتقل من عجيب إلى اعجب . انت تعني إذن انني دبرت كل
هذا للإيقاع بـ " جاك " اوبريو " واتهامه بالجريمة ..
- لقد كانت تلك اضمن وسيلة لإبعاد التهمة عن نفسك .
- نعم ولكن " جاك " كان صديقي منذ عهد الطفولة .
- انت تحب زوجته
فوثب الشاب من مكانه . وصاح وقد استولى عليه الغضب فجأة :
- اتجسر على ..؟ هذه قحة .
- إن عندي الدليل .
- كذلك . فإنني لم اشعر قط نحو مدام " اوبريو " بغير الاحترام
والإجلال .
- هذا في الظاهر . ولكنك في الواقع تحبها وتريدها لنفسك . لا
تحاول الإنكار فإن عندي الدليل كما قلت لك .
- كذلك فانت لم تكن تعرفني قبل ساعة .
- إنك مخطئ فلقد كنت اتعقبك منذ ايام واتحين الفرصة للإيقاع بك
واقترناصك .
ثم امسك بكتف الشاب وهزه بعنف وصاح :
- اعترف يا " دوتري " ، اعترف ! قلت لك إن عندي البراهين الكافية
على جرمك ، وعندي شهود سادعوهم لإدانتك . اعترف ! قل إن ضميرك
يؤنبك على ارتكاب جريمتين في وقت واحد . تذكر ما استولى عليك من

الجزع وانت في المطعم ظهر اليوم عندما قرأت في الصحف نبأ إعدام صديقك . إنك لم تكن تريد له الإعدام كان يكفيك أن يحكم عليه بالاشغال الشاقة . اما إعدامه وإعدامه غدا . وهو البريء الذي لم يرتكب إثما . فذلك ما لم تكن تتوقعه .. اعترف لتنجو براسك ..
وكان "باربيه" يتكلم بحدة . وهو منحرف امام الشاب . كأنه يريد أن ينتزع منه الاعتراف انتزاعا .

غير ان الشاب نظر إليه ببرود واحتقار وقال بصوت هادئ :
- أنت مجنون يا سيدي . وليس في هذيانك كلمة واحدة تنطبق على الحقيقة ... وجميع الاتهامات التي توجهها كاذبة . وجوفاء !
لقد زعمت بلهجة التاكيد ان الأوراق المالية المسروقة في بيتي . فهل وجدتها ؟ ..

فهز "باربيه" قبضته في وجه الشاب بغضب وصاح :
- الا تريد ان تعترف ؟ ... صبيرا إذن .

ثم انتحى بـ "جانيمار" ناحية وقال له في همس :
- ما قولك في هذا التعس .. إنه مجرم ثابت الجاش .

فهز "جانيمار" راسه وأجاب :

- ربما ... ولكننا لا نملك حتى الآن ما يجيز لنا اتهامه ... هل أنت واثق بأنه هو الذي ارتكب الجريمة ..

- لا يمكن أن يكون مرتكبها احد سواه . وقد لاحظت ازدياد قلقه كلما اقتربت منه الشكوك .

- وهل كان يحب مدام "أوبريو" حقا ؟

- هذا امر منطقي .. ولكنه كان مجرد افتراض ... اه ... لو أستطيع العثور على الأوراق المالية فقط . ولكن صبيرا ما هذا ؟

- وسمع الرجلان فجأة جلبة غير عادية . ثم فتح الباب ودخل صاحب المطعم وهو يصيح :

- مسيو "دوتري" ... الا يزال مسيو "دوتري" هنا ..

- اه ... مسيو "دوتري" . إن النار قد شبت في شقتك ...

- لقد راها احد المارة وانبأنا .

فلمعت عينا الشاب بسرعة ... وارتسخت على شفتيه شبه ابتسامة . ولم تستغرق هذه الابتسامة أكثر من ثانية واحدة .

ولكن "باربيه" لاحظها وأدرك معناها .

صاح في غضب :

- تبالك أيها الشقي ... لقد فضحت نفسك ... إنك انت الذي اشعلت

النار في شقتك ... وما هي ذي الأوراق المالية تحترق الآن .

ووثب الفتى من مكانه ليصعد إلى شقته . غير أن "باربيه" وقف

في طريقه ومنعه من الخروج .

- صاح "دوتري" :

- دعني أيها المعتوه . إن النار تلتهم بيتي ولا يوجد من يستطيع

الدخول . لأن المفتاح معي . خذ . ها هو ذا المفتاح . دعني امر .

فانتزع "باربيه" المفتاح من يده وقال :

- لا تتحرك من هنا أيها العزيز . لقد ربحتنا الشوط .

ثم أخرج من جيبه مسدسا وضعه في يد صاحب المشرب وهو يقول :

- ابق في حراسة هذا الرجل . وحذار ان يغلت منك وإذا حاول

الفرار فاطلق عليه الرصاص ! . هلم معي يا "جانيمار" .

- وصعد "باربيه" و "جانيمار" السلم على عجل . قال الثاني

ممتعضا :

- يستحيل أن يكون هو الذي وضع النار في شقته لأنه قضى الوقت

معنا . ولم ينتقل من مكانه .

- إنه أشعل النار في الشقة سلفا .

- كيف ذلك ؟ كيف ؟ ...

- لا أعلم ... ولكن ليس من المؤكد أن تشتعل النار بلا مبرر في ذات

الوقت الذي يخشى فيه الإنسان ضيوط أوراق تدينه ..

وسمعا ضجة شديدة في الطابق الخامس .

كان خدم الشقق يحاولون تحطيم باب الشقة . فلما اقترب "باربيه"

و' جانيمار' من ذلك الباب امتلات خياشيمهما برائحة حادة
صاح 'باربيه' بالخدم :

- افسحو السبيل .

ووضع المفتاح في قفل الباب ... واداره . ففتح الباب ... وانفجرت
منه سحب كثيفة من الدخان ، حتى خيل للقوم أن الشقة كلها قد ذهبت
طعمة للنيران .

بيد أن 'باربيه' لاحظ في الحال أن النار قد خبت من تلقاء نفسها
بعد إذ لم تجد ما تلتهمه .

- قال محدثا 'جانيمار' :

- مر هؤلاء الناس بالا يدخلوا ، إن أي عبث قد يذهب باثر الأدلة ،
والأفضل أن تغلق الباب .

دخل 'باربيه' الشقة أولا ، واهتدى في الحال إلى المكان الذي
انحصر فيه الحريق .

كانت تعلو الجدران وقطع الأثاث طبقة سوداء من تأثير الدخان
ولكن شيئا منها لم تصل إليه النار .

والواقع أن النار لم تلتهم غير كومة من الورق أمام النافذة .. وقد
احالتها كلها إلى رماد .

ضرب 'باربيه' جبهته بيده وهتف :

- يا لله .. ما أشد غباوتي .. ما أشد غباوتي!

- ماذا ؟

- علبة الورق التي يضع فيها الشقي قبعته بقصد صيانتها من
الغبار .. في هذه العلبة كان يخفي الأوراق المالية عندما فتشنا الشقة

- مستحيل ..

- بل ذلك هو الواقع ، إن الإنسان يغفل دائما عن تفتيش هذا المخبا،
الذي هو أظهر المخابئ وأقربها إلى الأيدي .

والواقع من ذا الذي يتصور أن يترك اللص ستين ألفا من الفرنكات
في علبة من الورق ظاهرة للعيان ؟

إن حيلته جديرة بالإعجاب . فقد وضع قبعته في العلبة عندما دخل
وبذلك أخفى تحتها غنيمته .. ثم تناول القبعة عند انصرافنا فلم
نلاحظ شيئا .

فظهرت علامات الارتياح على وجه 'جانيمار' وغمغم قائلا :

- كلا .. مستحيل .. لقد كنا معه هنا وفي المطعم .. ولا يمكن أن
يكون هو الذي أشعل النار .

- إنه أعد كل شيء استعدادا للطوارئ .. ولا بد أن يكون قد بلل
العلبة والأوراق المالية بمادة ملتهبة .. فلما انصرف معنا ... القى على
العلبة عود ثقاب .. أو مادة كيميائية لا أدري ما هي فحدث الحريق
فقال 'جانيمار' :

- لو أنه فعل ذلك لرأيناه .. وبعد .. فليس من المعقول أن يرتكب
جريمة قتل ليسرق ستين ألف فرنك .. ثم يبني الأوراق المالية بهذه
الصفة .

وما دام قد نجح في إخفاء الغنيمة بحيث لم نعرثر عليها ، فما الذي
بعمله على التخلص منها بلا ميرر ؟

- إنه كان خائفا يا 'جانيمار' ولا تقس أن المسألة بالنسبة إليه
مسألة موت أو حياة .

إنه يضحى بكل شيء لينقذ رأسه من المقصلة .. وقد كانت هذه
الأوراق المالية هي الدليل الوحيد الذي يثبت جريمته فكيف لا يبني هذا
الدليل

لدهش 'جانيمار' وسأل :

- كيف تقول إنها الدليل الوحيد ؟

- بالتأكيد ، إنها الدليل الوحيد .

- والشهود الذين تكلمت عنهم ، والأدلة التي كنت تلوح بها ؟

- كل هذه لا وجود لها .

لعض 'جانيمار' على شفته وغمغم :

- يا لله .. ما أشد جراتك !

- إذا فاتتك الأدلة للإيقاع بالمجرم ، فإن الجراءة والتفكير السليم يقومان مقام الأدلة .

قال ذلك وراح يفحص ما تخلف عن الحريق ، ثم غمغم :

- لا شيء غير الرماد .. ولكن كيف استطاع هذا الشيطان أن يشعل النار في هذه العلبة ؟ ..

وأخذ يسير في الغرفة جيئة ونهايا .. وشعر "جانيمار" بأن هذا الرجل الداهية الغريب الأطوار يعصر ذهنه . ويبدل جهد الجبابة لكي ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الحجب .

سأله بشيء من السخرية :

- هل انهارت خطتك يا صاح ؟

- لا .. لم أفقد كل أمل . لقد شعرت باليأس منذ لحظة أما الآن ..

ولمعت عيناه .. وأخذ يبحث في أنحاء الغرفة . حتى وجد علبة من الورق شبيهة بتلك التي احترقت .. فوضعها فوق الرماد . وأشعل فيها النار كذلك حتى التهمتها إلا بعض أطرافها .

فتنظر بعدئذ إلى "جانيمار" وقال وهو يبتسم :

- إنتي الآن بحاجة إلى معونتك يا "جانيمار" .. وكل ما أطلبه منك الآن هو أن تذهب إلى "دوتري" . وتقول له هذه الكلمات (لقد افتضح امرك يا صاح . والأوراق المالية لم تحترق كلها .. فاتبعني) .

وجئ به إلى هنا . فتردد "جانيمار" لحظة .

ثم أدرك طرفا من حيلة "باربيه" .. ولم يطوع له ضميره أن يشترك معه في إنفاذها .. لأنها تقوم على التهويش والدجل فهي في نظره حيلة غير مشروعة ..

تحول إلى "باربيه" ، ونظر إليه كمن يريد أن يقول له :

- ألا تكف عن العمل بهذه الأساليب ؟

وفهم "باربيه" معنى نظره .. وأدرك سبب ترده فابتسم وقال له :

- لا تنس يا "جانيمار" أن المسألة مسألة حياة أو موت .. وأن هذا بريئا سيعدم غدا صباحا .. إذا لم نتمكن هذه الساعة من اقتناص

المجرم الحقيقي .

الم أقل لك مرارا إنني لا أبغي أبدا غير إحقاق الحق . ومساعدة الأبرياء وتمكين العدالة من وضع يدها على المذنبين ؟

فتنهذ "جانيمار" .. وانصرف نزولا على إرادة "باربيه" .

أما هذا الأخير ، فإنه لم يكد يخلو إلى نفسه حتى جلس على أحد المقاعد وأجال حوله نظرة أحاط فيها بكل محتويات الغرفة . واستقرت عيناه أخيرا على بقعة من الضوء في حجم قطعة النقود كانت تارة تبدو على أرض الغرفة واضحة ساطعة . وتلاشى تارة أخرى كلما هجبت السحب قرص الشمس .

حملق "باربيه" طويلا إلى هذه البقعة . وقطب حاجبيه وفكر لحظة .. ثم انبسطت أسارير وجهه فجأة وقال :

- ياله من داهية .

ولمى هذه اللحظة .. عاد "جانيمار" وبرفقته "دوتري" .

فنهض "باربيه" من مكانه . وسار إلى الشاب ، وأمسك بساعده . نظر في وجهه طويلا ثم انفجر ضاحكا . وقال :

- مرحى يا فتى . إنك أبرع مما كنت أظن . ففكرة العلبة واتية الماء ولرص الشمس لا تخطر إلا ببال الشيطان .

فغمغم "دوتري" في شيء من الاضطراب :

- بماذا تهذي يا هذا ؟

فقال "باربيه" بلهجة جدية :

- اصغ إلي يا فتى . إن النار لم تلتهم غير جزء من العلبة .. والشهت الأوراق المالية إلا أطراف عدد قليل منها .. هل فهمت ؟

الأوراق المالية المسروقة ؟ الأوراق المالية التي هي أهم دلائل الجريمة إن أطراف بعضها لم تلتهمه النيران .. وهماي ذي .. وارقامها لا تزال ظاهرة .. خذ وانظر ..

إنك ضعت يا صديقي العزيز .. ومن العبث أن تكابر أو تنكر . فامنع وجه الفتى ودارت عيناه في محجريهما بقلق وذعر .. وأطرق

برأسه ولم يجب ..

لم يفحص العلبة .. ولم يفحص الأوراق المالية ..

كانت المفاجأة اعظم مما توقع .. فاضطرب ذهنه .. ولم يسعفه بجواب ..

شعر بان غريمه قد تغلغل في اعماق نفسه .. وفضح سرا كان يعتقد انه يمامن من الافتضاح ..

كان صمته وإطراقه بمثابة الاعتراف ..

بيد ان 'باربيه' لم يترك له فرصة للتفكير والاستعداد بل استأنف هجمته العنيفة .. وراح يقول :

- لا يزال في استطاعتك ان تنقذ رأسك من المقصلة ايها التعس .. ووسيلتك الوحيدة لذلك هي ان تعترف كتابة .. وتزعم أنك تكتب الاعتراف تحت تأثير وخز الضمير .. وسوف يضع رجال العدالة ندامتك موضع الاعتبار .. سيما انها جاءت في الوقت المناسب لإنقاذ بريء من الإعدام .. إليك القلم .. والورق .. فاكتب اعترافك .. إنك كنت في الحق سيئ الحظ يا فتى .. رغم أن حيلتك الاخيرة كانت مدبرة اعجب تدبير .. اليس كذلك ؟ ..

كانت الأوراق المالية عندك .. وكنت تعلم انها اهم دليل ضدك .. فلما رأيت الريب والشكوك تحوم حولك .. خطر لك في الحال أن تتخلص من هذه الأوراق .. فماذا تفعل ؟ ..

ليس اسهل من الالتجاء إلى حيلة لا بد أنك جربتها استعدادا للطوارئ .. ولا بد أنك أيقنت من صلاحيتها، فوضعت على النافذة أنية ماء مستديرة .. مصنوعة من البلور السميك .. فسقطت أشعة الشمس من النافذة على الأنية .. واصبحت الأنية عندئذ بمثابة عدسة تجمع اشعة الشمس في بقعة واحدة ..

وقد دبرت كل شيء سلفا بحيث تسقط هذه البقعة على علبه الورق .. وقد كان ذلك هو السر في غضبك واحتجاجك عندما أنقل أي شيء من موضعه في أثناء التفتيش ..

تركزت إذن بقعة الأشعة على جدار العلبة .. وهو مصنوع من الورق ومغطى بطبقة رقيقة من الحرير ..

ولم تكذ تنقضي بضع دقائق حتى التهمت طبقة الحرير بحرارة بقعة الأشعة .. فاحترقت .. واحترق معها نصف العلبة .. وبعض الأوراق المالية .. ولولا أننا جئنا في الوقت المناسب لتلاشى كل اثر لجريمتك ..

حيلة بديعة رائعة .. يجب أن اهنتك عليها

والآن .. إليك القلم والورقة ..

دفن 'دوتري' وجهه بين كفيه .. ورأى 'جانيمار' دموع الياس تنحدر من بين أصابعه .. فنظر إلى 'باربيه' نظرة من يقول :

يا لك من شيطان

بيد أن 'باربيه' كان يريد أن ينقض يده بأسرع ما يمكن فانحنى فوق 'دوتري' وقال :

- اكتب ولا تضيع آخر فرصة للنجاة من الإعدام .. إن الأدلة ساطعة قوية .. ولم يعد في مقدورك الخلاص من تبعة الجريمة .. فتناول الفتى القلم .. وكتب ما أملاه عليه 'باربيه' ..

وطوى 'باربيه' وثيقة الاعتراف .. ودفعها إلى 'جانيمار' وهو يقول :

- هو هاذا قاتل 'جاك أوبريو' .. وها هو ذا اعترافه ..

فغمغم 'جانيمار'

- هذه أول مرة تعمل فيها لوجه الحق ..

فقال 'باربيه' وهو يبتسم

- بل قل إنها أول مرة أخرج فيها خاسرا .. فقد ضحيت ببعض الأوراق المالية لأحصل على اعتراف هذا التعس ..

الفيل الأبيض

ترك جانيمار القطار في محطة باسكور وراح يسرع الخطى في الطريق المؤدي إلى المدينة. كان البرد شديداً. وقد غطت الأرض طبقة من الثلج، ففرك يديه بشدة. ثم دسهما في جيبي معطفه ..
ثم خيل إليه وهو يسير أن شخصاً يسرع الخطى في أثره كأنه يطارده أو يحاول اللحاق به .. فنظر خلفه وإذا به "باربيه" ... وعلى وجهه تلك الابتسامة الساخرة التي طالما رأها كلما قصد هذا الشيطان إلى مداعبته والهزاء به

وقف جانيمار في مكانه وسأل في دهشة :

- أنت هنا .. ماذا جاء بك ؟

فاجاب "باربيه" :

- ماذا جاء بي ؟ .. إن بين القلب والقلب رسولا .. وقد شعرت بأنك

ستحتاج إلى معونتي .. فاسرعت لنجدتك ..

- احتاج إلى معونتك ؟

- الست في طريقك إلى قصر "جورن"؟

فنظر إليه جانيمار في دهشة . وهتف :

- وكيف علمت ؟

فابتسم "باربيه" واجاب :

- هذا سر من أسراري ..

فعض جانيمار على شفته وقال :

- وإذا لم أكن بحاجة إليك ؟

- أنا واثق بأنك ستحتاج إلي ..

- قلت لك لن احتاج إليك ..

- في هذه الحالة سيحتاج إلي البريء الذي سوف تلقي به في

السجن ظلما ..

- إذا لم يكن لك عمل في قصر (جورن) فمن الأفضل الا تذهب إلى

هناك .. لأنني لن أسمح لك في هذه المرة بأن ..

- بماذا ؟

فنظر إليه جانيمار كأنه يريد أن يقول :

انت تفهم ما أعني ..

وفهم "باربيه" ما يرمي إليه جانيمار فقال :

- ألم أقل لك مرارا وتكرارا إنني لا أعمل إلا لوجه الحق ؟

- ولنفسك ..

- للحق أولا .. ولنفسي ثانيا .. ولا شك أنك تقرني على هذا

باعتزيتي "جانيمار" .. فانت تعلم أن مهنة المحاماة لا تدر الرزق على

اصحابها دائما .. وأن هناك نفقات لا بد منها ..

- ولذلك جئت الآن للاستيلاء على الماسة ؟

فنظر إليه "باربيه" في دهشة .. ثم استدرج نظرتيه .. بأن قال كمن هو

على علم بما هناك :

- يجب أولا أن نعرف من ذا الذي سرقها ؟

ونظر إلى جانيمار كيرى تأثير هذا السؤال .. ولاحظ في الحال أنه

اصاب الهدف ..

قال جانيمار :

الواقع ان القضية تبدو واضحة جلية .. وقد ابرق قاضي

التحقيق إلى إدارة البوليس بملخص لها .. وطلب إرسال أحد مفتشي

البوليس على عجل لمعاونته في التحقيق ..

- فوقع الاختيار بالتأكيد على "جانيمار" العظيم .. أبرع من يحل

القضايا الواضحة .

فكظم جانيمار غيظه .. ولزم الصمت .

ولم يدر بين الرجلين حديث حتى وصلا إلى قصر (جورن) وهو قصر

عتيق يقع في مزرعة مترامية الأطراف في ضواحي "باسكور" ..

وقد وجدا بباب القصر احد رجال البوليس .. فذهب بهما توا إلى غرفة في الطابق الاول من القصر حيث كان قاضي التحقيق في الانتظار ..

وقد قدم 'جانيمار' نفسه إلى قاضي التحقيق بصفته الرسمية. وتقدم 'باربيه' بصفته المحامي عن مدام 'جورن'.

وكانت دهشة قاضي التحقيق لهذه الصفة التي اتخذها 'باربيه' أعظم من دهشة 'جانيمار' .. فسأله:

- هل اتصلت بك هذه السيدة ؟

- نعم .. إنها أبرقت إلي في صباح اليوم من محطة (رونسيير)

- أه .. وإن فانت لم تقابلها بعد ؟

- كلا .. بيد أن ذلك لا يمنعني من معرفة التفاصيل ..

فسأله 'جانيمار' في دهشة :

- كيف ؟ .. ألا تعلم التفاصيل وقد كنت تحدثني منذ لحظة عن

الماسة المفقودة ؟

فاجاب 'باربيه' وهو يبتسم :

- أؤكد لك أنني سمعت عن هذه الماسة منك لأول مرة ..

- بالك من .. حسنا .. إني على استعداد الآن ياسيدي القاضي ..

فماذا عندك من الأنباء الجديدة ؟

فاجاب القاضي :

- سأسرد عليك التفاصيل من البداية فأصغ إلي .. لأن القضية تبدو

لي غامضة غاية الغموض .. لسبب واحد .. هو عدم ظهور جثة القتيل ..

تقيم في هذه الناحية أسرتان عريقتان .. هما أسرة 'جورن' وأسرة 'فينال' .. وكانت تربط بين هاتين الأسرتين حتى عهد قريب روابط الصداقة والتعاون .. إلى أن جاء 'ماتيويس جورن' بزوجه الحسنة من باريس .. وقد شاعت المصادفات ، كما فهمت من أقوال أهل هذه الناحية .. أن يقع 'جيروم فينال' في حب مدام 'جورن' .. ولا يعلم أحد

هل كانت مدام 'جورن' تبادله هذا الحب .. إنما المفهوم بصفة عامة أن 'ماتياس جورن' ووالده .. وهو شيخ شديد الحرص على سمعة أسرته لاحظا نظرات 'جيروم' الشاب إلى مدام 'جورن' وضبطاه مرارا وهو يحوم حول القصر .. فهدده بالقتل إذا أبصره في أملاكهما. ولم يقتعا بذلك .. بل حرما على الزوجة الشابة أن تبرح القصر إلا في رفقة زوجها أو والده .. وإني أضرب الآن صفحا عما يشاع عن سوء المعاملة التي كانت تتلقاها مدام 'جورن' في قصر زوجها ..

وهنا سأله 'باربيه' :

- عفوا ياسيدي .. لي سؤال .. هل يقيم 'ماتياس' ووالده معا في

القصر ؟

- لا .. فمسيو 'جورن' الشيخ يقيم وحده في منزل بالمدينة.

ثم استأنف قصته فقال :

- ولكن حدث أمس .. بينما كان رجال الشرطة يتجولون في هذه الناحية كالمعتاد .. أن دوت ثلاث طلقات نارية مزقت سكون الليل. وقد سمع رجال الشرطة هذه الطلقات .. كما سمعها صاحب المشرب الواقع على بعد كيلو مترين من هنا .. ولكن أحدا لم يستطع أن يتحقق من المكان الذي صدرت منه هذه الطلقات .. لأن الوقت كان منتصف الليل .. أو بعد منتصف الليل بقليل ..

وفي الساعة السابعة صباحا .. وفد أحد خدم قصر (جورن) على الحانة .. وعبر لصاحب المشرب عن قلقه وجزعه .. لأنه ذهب إلى القصر كالمعتاد فوجد بابه مغلقا خلافا للعادة ولما طرقه بشدة لم يفتحه أحد

وكان أحد رجال الشرطة يتناول طعام الفطور في المشرب فتذكر الطلقات النارية التي سمعها في منتصف الليل وأوجس خيفة .. وشاركه في هذا الشعور صاحب المشرب .. وهكذا قرر الثلاثة أن ينتقلوا إلى القصر لاستطلاع الحالة ..

وفي الطريق .. قابلهم مسيو 'جورن' الشيخ راكبا عربته التي اعتاد

أن يتنزه بها في صباح كل يوم .. فلما سالوه عن ولده اجاب بانه لم يره .. ولما حدثوه بقصة الخادم الذي وجد الباب مغلقا خلافا للعادة .. ضحك واجاب إن ولده قضى السهرة عنده وانه ليس عجيبا ان يستغرق في النوم ..

وتركهم الشيخ ومضى في سبيله ..

بيد أنهم لم يقنعوا .. وقصدوا إلى القصر .. وقرعوا بابه بشدة وصاحوا يدعون 'ماتياس جورن' .. ولما لم يسمعوا جوابا .. صحت عزيمتهم على فتح الباب عنوة .. ونجحوا في ذلك .. ولما دخلوا غرفة الاستقبال الفوا اثارها مبعثرا .. وجميع الدلائل تدل على وقوع معركة .. ثم وجدوا باب غرفة مدام 'جورن' محطما .. ولم يعثروا للرجل او زوجته على اثر ..

وكان الثلج قد اشد سقوطه ابتداء من الساعة التاسعة فغطى الأرض بطبقة سميكة احتفظت باثار اقدام .. فتبع الشرطي وزميلاه هذه الآثار ، فقادتهم إلى بئر عميقة خلف القصر . ووجدوا حول البئر اثار اقدام كثيرة مضطربة . مما يدل على وقوع نضال هناك . وعثروا على مسدس ثبت فيما بعد انه مسدس 'جيروم فينال' . ووجدوا بالمسدس اربع رصاصات ، اما الرصاصات الثلاث الأخرى فقد وجدت فارغة ، وملقاة حول البئر . مما يدل على انها الرصاصات التي سمع القوم نوبها في منتصف الليل .

وشعر الشرطي إزاء ذلك انه امام اثار تدل على وقوع جريمة .. فابلغ الامر إلى ذوي الشأن . وانيط بي تحقيق الحادث ..

فسال 'جانيمار' :

- وبماذا انتهى التحقيق ؟

- إنني وصلت بالتحقيق إلى نتيجة يحسن بي أن اظهر كما عليها على ضوء الآثار التي وجدت على الثلج .. التي لاتزال كما هي ولم يطرا عليها ما يلمسها او يضيع معالمها ..

انتقل قاضي التحقيق بـ 'جانيمار' و'باربيه' إلى خارج القصر

وأشار إلى اثار اقدام على الثلج وقال :

- هذه هي اثار اقدام 'ماتياس جورن' .. وهي متعرجة كما تريان ..

مما يدل على ان صاحبها كان ثملا كما قال 'جورن' الشيخ ..

وتنتهي هذه الآثار عند الباب الداخلي للقصر .. ويظهر اثر اخر يبدا

من هذا الباب الداخلي .. وينتهي إلى البئر .. وهو اثر جسم ثقيل

جذب فوق الثلج ..

فسال 'باربيه' :

- وماذا فهمت من هذا الأثر ياسيدي ؟

- فهمت منه أن الشخص الذي اشترك مع 'ماتياس جورن' في عراك

بقاعة الاستقبال .. قد استطاع أن يتغلب على هذا الأخير . ومن المحتمل

أن يكون قد ضربه ضربة أفقدته الرشد . ثم اجتذب جسم غريمه حتى

حافة البئر .. وهكذا محا الجسم اقدام المعتدي ..

- ولكننا لم نر على الثلج اثار اقدام الشخص الدخيل الذي اعتدى

على 'ماتياس' :

فاجاب القاضي :

- لقد لاحظت ذلك .. ولكن وجدت التعليل الصحيح لهذه الظاهرة

وهو أن المعتدي لابد قد جاء إلى القصر قبل سقوط الثلج . فاختبأ في

غرفة الاستقبال .. وكمن هناك في انتظار 'ماتياس جورن' ..

فقصد قاضي التحقيق مع زميليه إلى حافة البئر . وأشار إلى اثار

الأقدام واستطرد :

- وما نحن نرى أولاء هنا اثار اقدام 'ماتياس جورن' مرة أخرى .

ومعها اثار اقدام ثقيلة . وبالقرب منها المسدس وقد فهمت من ذلك ان

'ماتياس' افاق من إغمائه هنا . وناضل غريمه نضالا عنيفا . فاطلق

عليه غريمه الرصاص وقتله ..

فقاطع 'باربيه' القاضي بقوله :

- وقذف بجثته في البئر ..

- هو ذاك . ومن ثم اتجهت الاقدام الثقيلة إلى سور القصر ..

واختفت هناك . ولكنها عادت إلى الظهور في المزارع . خلف سور القصر . وقد تتبععتها عن كثب .. حتى انتهت إلى قصر جيروم فينال .

فسال "باربيه" :

- هل بحثتم عن الجثة في البئر ؟

- إن المعروف عن هذه البئر أنها شديدة العمق وأنها متصلة تحت الأرض بنهر السين . ولاشك أن الجثة ستظهر بعد يومين أو أكثر إما في هذه البئر ، وإما في النهر ..

- هذا تحليل بديع ، ولكن بماذا تفسر اختفاء مدام "جورن" ؟

- إننا نجد هذا التفسير في بابها المحطم ، وفي أثر هذه الأقدام الثقيلة .. إذ ليس من الطبيعي أن تغوص أقدام الإنسان في الثلج إلى هذا العمق .. إلا إذا كان يحمل حملا ثقيلا ..

- تعني أن القاتل دخل غرفة مدام "جورن" عنوة ثم حملها على كتفه وعاد إلى زوجها ، فراح يجتذب جثته وراءه ثم قذف بالزوج في البئر وهرب بالزوجة ؟

- نعم .. وما هي ذي الآثار تنطق بكل شيء .

- دعني أهنئك ياسيدي ، إنك أصبت كبد الحقيقة بذكائك ودقة استنتاجاتك .

- ليس هذا كل ما هنالك ، فقد اكتشفت كذلك أسباب الجريمة وملابساتها ، وقبضت على القاتل .

- قبضت على القاتل ؟

- نعم .. والقاتل هو "جيروم فينال" ..

- والدافع إلى الجريمة هو الحب بالتأكيد .

- الحب وشيء آخر .. الحب والجشع . فقد جاء في أقوال الشيخ "جورن" : إن والد "جيروم فينال" نزلت به قبل وفاته أزمة مالية فرهق عنده ماسة نادرة ورثها عن أبيه الذي قضى أكثر حياته في الهند ..

وكانت هذه الماسة الثمينة في حراسة "ماتياس" ، وقد وضعها هذا

الأخير في خزائنه الحديدية بالقصر . ولما علم "جورن" الشيخ بما حدث في القصر خف على عجل ، وأرشدنا إلى مكان الخزانة ، وهي في الغرفة المجاورة لغرفة الاستقبال .

وقد وجدنا الخزانة مفتوحة . ولم نعثر للماسية على أثر ..

- وهل تعتقد أن "جيروم فينال" هو السارق ؟

- إنه القاتل والسارق ..

- ألم يخطف من الخزانة شيء آخر ؟ ..

فقلب القاضي شفطيه وأجاب :

- بل اختفت بعض تحف لا قيمة لها .. هي طائفة من الخيالة

البيضاء المصنوعة من العاج . وقد ذكر "جورن" الشيخ أنها أهديت إليه من والد "جيروم" .

- وإذن فقد استرد "جيروم" ماسة جده وهدية أبيه .

- نعم ! .. وقتل "ماتياس" واختطف زوجته ..

- هذه تهمة خطيرة ..

- والأدلة قوية كما ترى .. ولكن ماذا قال "جيروم فينال" حين وجهت إليه التهمة .. ؟

فأجاب القاضي :

- إنني لم استجوبه بعد ..

- كيف ؟

- لقد ذهبت إلى قصره .. وهناك علمت أنه خرج مبكرا .. وبرفقته

مدام "جورن" فأدرت في الحال أنه سافر بأول قطار .. ولما كان هذا

القطار يقضي في (رونسيير) ثلاث ساعات قبل أن يستأنف سفره إلى باريس .. فقد اتصلت تليفونيا برجال البوليس في (رونسيير) وذكرت

لهم أوصاف "جيروم" وصاحبه .. وطلبت إلقاء القبض عليهما .. والعودة بهما إلى هنا .. وأنا الآن في انتظارهما ..

وما كاد القاضي يتم كلامه .. حتى طرقت أذان القوم أصوات جلبة في الخارج .. ثم دخل ثلاثة من رجال البوليس . وبينهم شاب وفنأة ..

- ها هما ذا قد جيء بهما ، سننفض أيدينا من هذه الجريمة بأسرع ما يمكن ..

- هذا في الحق فوز ساحق سريع جدير بالإعجاب .

وساروا لمقابلة القادمين في منتصف الطريق .. ودشش 'جانيمار' حين رأى مدام 'جورن' تشق طريقها إلى 'باربيه' . وتلقي بنفسها بين ساعديه ..

قال لها 'باربيه' وهو يبتسم :

- اطمئني يا معلمتي .. فقالت وهي تنتحب :

- هل علمت ؟ ..

- نعم ! .. نعم ! .. علمت بزواجك غير الموفق .. ولكن كوني مطمئنة ..

ثم التفت إلى 'جانيمار' وقال :

- دعني أقدم إليك مدام 'جورن' ..

فمد 'جانيمار' يده ليرفع قبعته تحية للزوجة الشابة ثم ولقت يده

في منتصف الطريق إلى رأسه .. وهتف كالمأخوذ :

- يا إلهي .. 'هافلين' ..

- نعم .. استاذة البيانو سابقا .. ومامد 'جورن' حاليا ..

قال قاضي التحقيق :

- يجب أن نسمع أقوالهما في الحال ، ولكن على انفراد ..

ثم التفت إلى 'هافلين' واستطرد :

- هل لمامد 'جورن' أن تلزم غرفتها حتى ادعوها ؟ ..

وقصد قاضي التحقيق وزميله والشاب المتهم إلى قاعة الاستقبال ،

وبدا تستجوب 'جيروم فينال' ..

- هل تستطيع أن تذكر لي كيف قضيت ليلة الاسبوع؟ ولماذا قررت

السفر مع مدام 'جورن' ؟

- بالتأكيد .. فالمسألة غاية في السهولة .. وساسرها بالتفصيل

إنني رايت مدام 'جورن' هنا منذ ثلاثة اشهر .. أي عقب اقترانها

بمسيو 'ماتياس جورن' .. فاحببتها من اول نظرة واحترمتها كزوجة ..

وأؤكد لكم أنني لم أتحدث إليها قط قبل هذه الليلة ..

وصمت لحظة ثم استطرد :

- لم يكن لهذه الزوجة التعسة من ذنب إلا أنني احببتها وإلا انها

القرنت برجل غيور إلى حد الجنون .. وقد لاحظت زوجها أنني اتجول

في بعض الأحيان حول هذا القصر .. فضيق عليها الخناق ..

وحبستها . وقد سمعت من اهل هذه الناحية كلاما كثيرا عن المعاملة

السيئة التي كانت تعامل بها . وايد هذا الكلام ملاحظته مرة من

امتقاع وجه المسكينة وشحوبها وهزالها . فقررت أخيرا أن اضع حدا

لما تعانيه الزوجة البريئة ولما كنت من اعلم الناس بنفسية 'ماتياس

جورن' وجشعه . فقد خطر لي أن ابتاع سعادة زوجته .. واعتزمت

إبرام الصفقة ليلة أمس وحوالي الساعة الثامنة . قرعت باب القصر

.. ففتحه 'ماتياس' بنفسه لأن خدمه يبيتون في بيوتهم بالمرزة .

فقاطعه القاضي :

- صبرا لحظة .. إن ما تذكره هنا يغاير الحقيقة . فانت تقول إن

'ماتياس جورن' كان في قصره حوالي الساعة الثامنة . بيد أن هناك

حقيقتين تكذبانك . الاولى شهادة الشيخ 'جورن' وقد قرر أن 'ماتياس'

انصرف من منزله حوالي الساعة الحادية عشرة . والثانية اثار اقدامه

على الثلج . وقد ثبت أن الثلج لم يهبط قبل الساعة التاسعة ..

- إنني اسرد الحوادث كما وقعت يا سيدي . لا كما تستنتج ..

فتح 'ماتياس' الباب إذن فقلت له بصوت هادئ :

'إن عندي ما أريد أن أقوله لك يا سيدي' ..

فلم يجب .. وذهب بي إلى غرفة الاستقبال بعد أن اغلق الباب . وكان

يخطر إلي طول الوقت بحذر وارتياح . ولعله كان يخشى أن ابطش به .

لأن اول شيء فعله بعد أن استقر بي المقام في غرفة الاستقبال أنه جاء

ببندقيته ووضعها بالقرب منه ..

ولكي اطمئنه أخرجت مسدسي من جيبي ووضعت على المائدة بعيدا

عن متناول يدي .. ثم بدأت أساومه ..

كنت أعلم أن هذا الرجل وياه يقرضان الناس بالربا الفاحش . وإن
'ماتياس' بصفة خاصة يضع المال فوق كل اعتبار حتى اعتبار الشرف .
قلت له إن أبي رهن عنده ماسة نفيسة لا يقل ثمنها عن مائتي ألف
فرنك . وقد رهنها مقابل عشرين ألفا من الفرنكات فقط .. وإن في نيتي
استرداد هذه الماسة ودفع المبلغ المطلوب ..
فاجاب ولكن بلهجة لا تنم عن الارتياح :

- حسنا .. هات المبلغ الذي اقترضه أبوك وخذ ماستك ..

- إنني أفكر في الإقامة نهائيا في باريس .. وفي نيتي أن أبيع
قصري وأملكي جميعا .. وهي كما تعلم تقدر بمائة ألف من
الفرنكات ..

- أعلم ذلك ..

- بيد أنني على استعداد لأن أترك لك أملكي جميعا في مقابل أن
ترد إلي الماسة . لأنها تراث أحب الاحتفاظ به .. وفي مقابل أن تطلق
زوجتك . وأن ترد إليها حريتها ..

- حسنا .. قبلت .. اكتب صك التنازل عن أملكك وهاك الماسة . وقدم
إلي ورقة وقلما .. وفتح الخزانة .. وضع الماسة أمامي ..

بيد أنني ما كدت أوقع باسمي على صك التنازل عن قصري
وممتلكاتي . حتى شعرت بضربة هائلة على رأسي . كادت تفقدني
صوابي ..

ولا شك أن التعس قد فلن أن الفرصة سانحة للانتقام واستلاب
ممتلكاتي . والاحتفاظ في ذات الوقت بالماسة الثمينة . بيد أنه غفل عن
حقيقة الموقف . ونسي أنني أقوى منه .. ومن حسن الحظ أن الضربة
ضعفت حواسي مؤقتا . ولكنني سرعان ما جمعت قواي .. والقيت
بنفسي عليه . ودارت بيننا معركة انتهت بغلبتي لأنني لكمته لكمة
الفدته الرشد ..

ثم تناولت الصك فوضعت في جيبي .. وتركت له ماسته .. وخطر
لي وقتئذ خاطر فأسرعت إلى غرفة 'هافلين' وطرقت بابها فلم أسمع

جوابا .. ووجدت المسكينة ممددة على الأرض وقد اغمى عليها ...
كان من المرجح أنها سمعت الحديث الذي دار بيني وبين زوجها
وأحست بالمعركة التي نشبت بيننا فاستولى عليها الذعر إشفاقا من
النتيجة .. وأغمى عليها .. حملتها بين ساعدي .. وانطلقت بها إلى
قصري ..

وهناك فقط علمت من 'هافلين' أنها تبادلني شعوري .. ويعد أن
استعرضنا الموقف .. تم الاتفاق بيننا على أن انقذها من قسوة زوجها
وعسفه وأن أضعها في مكان أمين بباريس وكنا على يقين من أن
'ماتياس' الذي يعبد المال سوف يجد نفسه أمام الأمر الواقع . فيقبل
الصفقة التي عرضتها عليه ..

وهنا انتهت قصة 'جيروم فينال' .. ففكر القاضي لحظة ثم قال :
إنني علي استعداد لتصديق هذه القصة التي سردها بلهجة تنم عن
الصراحة والإخلاص . بيد أن هناك نقطة مهمة غاب عنك تفسيرها ..
وهي : ماذا حدث لـ 'ماتياس جورن' ؟ أنت تزعم أنك تركته هنا .. في
هذه الغرفة . ولكن أحدا لم يقع له على أثر .. فإين ذهب ؟
- ذلك ما لا أعلم لي به ..

- من المؤكد أنه لم يبرح هذا القصر .. بدليل أننا لم نجد على الثلج
أثر أقدام تدل على انصرافه .. ووجدنا فقط أثره بالقرب من حافة
البئر ..

- هذا ما لا أستطيع تفسيره ..

- والماسة .. ؟

- قلت إنني تركتها فوق هذه الطاولة ..

- وبماذا تفسر وجود مسدسك بالقرب من البئر وانطلاق بعض
رصاصاته ؟

- لا أعلم . إنني تركت المسدس والماسة على الطاولة ..

وجيء بـ 'هافلين' .. واستجوبها قاضي التحقيق .. فجاءت أقوالها
مطابقة لما ذكره 'جيروم فينال' .. سالها :

- هل سمعت دوي الطلقات النارية .. ؟ فاجابت :

- لا ..

- متى افقت من إغمائك ؟

- في بيت "جيروم فينال" ..

- ألم تشعر بما وقع حول البئر ؟

- نعم لم أشعر بما وقع حول البئر

- إذن أين ذهب زوجك ؟

- لا أعلم ..

- أصغي إلي يا سيدتي . إن من واجبك أن تساعدني العدالة على

تحقيق هذه القضية . هل تعتقدين أن زوجك ذهب ضحية حادث .. ؟

لقد قرر "جورن" الشيخ أن ابنه أسرف في الشراب ليلة أمس خلفاً

للعادة . فهل يحتمل أن يكون قد ضل طريقه وفقد توازنه . وسقط في

البئر ؟

- عندما عاد زوجي أمس لم يكن ثملاً ..

- لقد صرح أبوه بأنه كان ثملاً ..

- إنه أخطأ ..

- ولكن الثلج لا يخطئ . واثار اقدام زوجك على الثلج تدل على

اضطراب مشيته ..

- لقد عاد زوجي قبل الساعة الثامنة . أي قبل هبوط الثلج .

- إنك تضللين العدالة يا سيدتي . إنك تحاولين تكذيب الأدلة المادية

الناطقة . إن الثلج ينطق بالحقيقة التي ليس إلى حوضها سبيل .

وخرج "باربيه" فنظر القاضي إلى "جيروم" وقال :

- استعدي يا سيدتي لأن ترافقي "جيروم" في سيارة البوليس ..

وهنا تدخل "باربيه" في الأمر وسال :

- هل معنى ذلك أنك تنوي القبض عليها ؟ ..

- وهل في ذلك شك ؟ إن الثلج ...

- حسناً . ومتى ستحضر سيارة البوليس ؟

- بعد ساعة على الأكثر ..

- شكراً لك . إن ستين دقيقة فيها الكفاية ..

- حسناً .. يؤسفني أن ألقى القبض عليك ؟

- و"هافلين" ؟ ..

- ستذهب برفقتك ..

فاطرق الشاب براسه وخطا نحو الباب .. بيد انه لم يكذب يتقدم بضع

خطوات .. حتى فتح الباب .. ودخل "باربيه" وعلى وجهه ابتسامة ..

وقال :

- حمدا لله .. لقد جئت في الوقت المناسب .. إن هذا الرجل بريء يا

سيدي القاضي ...

- هل جئت بالدليل ؟ أعني الدليل المادي . نريد دليلاً ملموساً . وإلا

عبثاً تحاول تعطيل سير العدالة .. فقال "باربيه" :

- سأقدم إليك دليلاً يسيل له لعابك ..

- وابتسم ..

- هل تستطيع أن تدلنا على مكان "ماتياس جورن" ؟

- إنه الآن في طريقه إلى باريس يا سيدي ..

- في طريقه إلى باريس ؟

- نعم .. لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتطبيق زوجته .

- لتطبيق زوجته ؟ هو على قيد الحياة إذن ؟

- نعم .. ويتمتع بكامل الصحة ..

- يسرني أن أعلم ذلك .. ولكن ما معنى الآثار التي وجدناها حول

البئر .. وما معنى الطلقات النارية إذن ؟

- إنها حيلة مدبرة ..

- حيلة مدبرة .. ومن ذا الذي دبرها ؟

- "ماتياس جورن" نفسه ..

- هذا عجيب .. وما غرضه ؟

- كان يرمي إلى غرضين .. الأول أن يتهم "جيروم فينال" بقتله .

والثاني أن يستولي والده على مبلغ مائة الف فرنك .. كان 'ماتياس' قد أمن بها على حياته لدى إحدى شركات التأمين ..

- يا للسماء .. ولكن هل كان في استطاعته الاختفاء إلى الأبد؟

- كان في نيته الرحيل إلى أمريكا ..

- هل أفهم من ذلك أن 'جورن' الشيخ كان على علم بحيلة ولده؟

- إنهما وضعا الخطة معا ..

- إذن فقد تقابلا ؟

- نعم .. وقد قضيا بقية الليل معا .. وافترقا في الصباح ..

وهنا خرج 'جانيمار' عن صمته وقال :

- كل هذه فروض نظرية ..

فاجاب 'باربيه' وهو ينظر إلى القاضي :

- إن الثلج هو دليلنا الساطع ..

فصاح القاضي :

- لو كان 'ماتياس' جورن' قد ذهب ليلا إلى بيت أبيه كما تزعم، إذن

لاكتشفنا على الثلج اثر أقدامه عند انصرافه من الباب ..

- هذا الأثر موجود على الثلج ..

- إن الأثر الذي وجدناه يدل على دخوله لا خروجه ..

- سيات ..

- كيف ذلك ؟

- ليس من الضروري دائما أن يخرج الإنسان ووجهه إلى الباب ..

- ماذا تعني ؟

- لقد سار 'ماتياس' جورن' القهقري حتى وصل إلى الباب الخارجي

فساد صمت عميق .. واستطرد 'باربيه' :

- إذا أردت أنا مثلا أن أصل إلى هذه النافذة ... فإن في استطاعتي

أن أسير إليها مباشرة ، ووجهي نحوها ، ولكن في استطاعتي كذلك أن

أصل إليها وأنا أسير القهقري وإن فالحادث تفسيره هكذا :

في الساعة الثامنة أو قبلها .. وصل 'ماتياس' إلى القصر قبل

هبوط الثلج ..

وقبل هبوط الثلج كذلك وصل 'جيروم فينال' .. وتقابل الرجلان

وتشاجرا .. وتغلب 'فينال' على 'ماتياس' واختطف مدام 'جورن' .. ولما

عاد 'ماتياس' إلى رشده .. ورأى ما حدث استولى عليه الغضب

وتفتق ذهنه عن طريقة جهنمية للانتقام .. فاصطنع جميع الآثار التي

حول البئر ثم خرج من الباب الخارجي وهو يسير القهقري .. وبذلك

بات يخيل للناظر إلى اثر أقدامه على الثلج انه دخل ولم يخرج ..

وقد لغت نظري إلى هذه الحقيقة اضطراب اثار الاقدام لأن الإنسان

لا يستطيع أن يسير القهقري في خط مستقيم إلا بعد تجارب عديدة ..

ولذلك حاول الشيخ 'جورن' أن يبرر هذا الاضطراب بأن ابنه كان ثملا ..

فدهش القاضي .. وظهرت علامات الاهتمام على وجهه وسال :

- وكيف خرج من بيت أبيه إذن ؟

- خرج في المركبة التي كان أبوه يقودها في الصباح ..

- تعني انه كان مختبئا فيها .. ؟

- نعم ..

- وإلى أين ذهب به أبوه ؟

- ذهب به إلى يخته في نهر السين .. وهذا اليخت هو المكان الوحيد

الذي لم يخطر لكم أن تفتشوه، ولو كنتم استفسرتم عن المكان الذي

قصد إليه 'جورن' الشيخ بمركبته في الصباح .. إذن لعرفتم المكان الذي

لجا إليه 'ماتياس' ..

فهتف 'جانيمار' :

- كل هذا لا يعدو أن يكون مجرد افتراض ..

فنظر إليه 'باربيه' شذرا وقال :

- بل لدي الأدلة القاطعة .. أتريد دليلا أسطع من هذا .. ؟

وأخرج من جيبه تمثالا صغيرا من العاج يمثل فيلا ..

فهتف القاضي :

- وأين الماسة .. ؟

فحرك 'باربيه' تمثال الغيل بين أصابعه . فانشطر التمثال إلى شطرين . وسطعت الماسة في جوف الغيل ..
قال وهو يرد التمثال إلى حاله :

- عندما فاجأت 'ماتياس' في البيخت .. هم بإلقاء تماثيل الفيلة البيضاء من نافذة البيخت . وهو يعلم بالتأكيد أن ماء النهر متجمد . وأنه لا خوف على الماسة .. ولكنني حلت بينه وبين التخلص من أدلة براءة 'جيروم' . وامطت اللثام عن حيلته . وعن جريمة الاحتيال التي احكم وضعها لاختلاس مبلغ التأمين ..

بيد أنه كان شابا لين العريكة .. وسرعان ما اتفقنا على إنقاذ الصفقة التي عرضها عليه 'فينال' . وسيصلك صك التنازل موقعا بإمضاء 'جيروم' فور صدور الحكم بالطلاق ..
ثم استعرد :

- والآن يا عزيزي 'جانيمار' .. ها هي ذي الماسة .. وفي استطاعتك أن تردّها بنفسك إلى 'جيروم' بعد إتمام الصفقة أما أنت أيتها العزيزة .. فإنني أقدم إليك هذا على سبيل الهدية بمناسبة زواجك قريبا بمسيو 'فينال' ..

وقدم إليها تمثال أحد الفيلة . وانصرف وهو يقهقه . نظر القاضي إلى 'جانيمار' وغمغم :

- إنه رجل غريب الأطوار ..

- فقال 'جانيمار' :

- ولكنه ذكي ..

- هل اقتنعت بأدلته وتفسيره للحادث ..

- لا شك في أنه وفق حيث فشلنا ..

ولكنه ما كاد يلقي نظرة على جوف التمثال حتى الفتت من بين شفثيه صيحة زعر .. ودهشة ..

ذلك لأنه لم ير أثرا للماسة . بل وجد عوضا عنها قصاصة من الورق فبسطها بين أصابعه وقرا فيها : 'هكذا تحل العضلات أيها المغفل

كوبين' ..

فسب وشتم .. وألقى بالتمثال من يديه وأسرع نحو الباب ليلحق ب'باربيه' ..

ولكن 'هاغلين' كانت في هذه الأثناء قد شطرت تمثال الغيل الذي قدمه إليها 'باربيه' إلى شطرين .. فوجدت الماسة الثمينة في جوفه ومعها قصاصة من الورق كتب عليها :

'هدية مني إليك . بمناسبة زواجك'

تلميذك البليد

'أرسين كوبين'

تمت بحمد الله